



الإمام المجدد
السيد محمد ماضي أبو العزائم



Abul Azayem
www.abulazayem.com



من المصنوع

الإمام المجدد

السيد محمد ماضي أبو العزائم

١٢٨٦ - ١٣٥٦ هجرية / ١٨٦٩ - ١٩٣٧ ميلادية

مقدمة

الحمد لله الظاهر، يصون السر تنزلاً إحسانياً، القريب القريب والمجيب المجيب، تجلى سبحانه بمعاني صفاته العلية فحجبت أنوار تجليه الآيات والكائنات حتى أشرق على أفق اللطائف ﴿فَأَيُّمَا تُولُوا فَتَمَّ وَجْهُ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ وَسِعَ عَلَيْهِ﴾ البقرة ١١٥، واجه أحبابه سبحانه بجماله المقدس بعد أن تخلوا فتأهلوا لجنابه القدسي الأعلى، فلمعت عليهم لوامع العظمت والجلال فصعقوا رهبة، وغابوا به سبحانه عنهم رغبة، فأنسهم بعواطف وده وسقاهم من طهور حُبه، فأحاطت بهم الأنوار بعد سلب الظلال، وأسمع آذان قلوبهم ﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَمُوا﴾ فصلت ٣٠، وواجههم بريحان ﴿إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا وَالَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ﴾ النحل ١٢٨، فصارت همومهم همّاً واحداً في الله وأقبل بهم سبحانه عليهم، فهم مواجهون لقدس الجبروت، والجميل الولي الرؤوف اللطيف القريب مواجههم، فهم الروحانيون في الهياكل الإنسانية، أجسامهم في الأرض وقلوبهم بالرفيق الأعلى.

والصلاة والسلام على سدره منتهى علوم الخلائق ذى الخلق العظيم، وآله بدور الهداية وورثته الأنجم الزاهرة سرج الدنيا ومصابيح الآخرة، رضوان الله عليهم أجمعين، وبعد.



الفصل الأول

من غوامض أسرار العلوم الإلهية

فيض من البحر النوراني

إنما رمز الرجال كنوز أسرارهم، لأن الحكمة جلت أن يباح بها إلا لأهلها، وهى قوت الأرواح، فيجب أن تظهر وأن تنكر حتى يلتقطها أهلها من لسان العارف، أو من المسطر على الأوراق من العوارف، قال عليه السلام: (رب مبلِّغ أوعى من سامع).

إذا لم تتضح لك الحكمة عند مطالعة الرموز فهاجر إلى الرجل أين كان، فإن فقدته فلا تفقد رياضة نفسك وتهذيبها.

أخاف إذا ما بحت بالسر الخفى أن تظهر الأنوار في الأفق الجلى
لكن أستر حالتى عن أعين شغلت بشهوتها عن النور العلى
وإذا شهدت جمال محبوب فلا لوم على إذا أريتكمو الولى
نوراً أضاء لمن به قد خصصوا فازوا به لم يعطه الخب الخلى
نور الحبيب محمد بقلوبنا قد أشرقت أنواره للمقتدى
نور الحبيب بكل وقت مشرق

هذه الأسرار لا تفهم بميزان العقول ولا تدرك بضوابط الفهوم ولا تنال بمدارسة العلوم، وإنما هى صورة المعلوم تنقش على جوهر النفس بعد التسليم الكامل، وتزكية النفس بالمسارعة إلى العبادات، وتطهيرها من قاذورات البشرية ورعونات الإنسانية، وإطفاء نار الأطماع والحظوظ والآمال التى اقتضتها القوى الجسمانية، كل ذلك لا ليذكر الأسرار، ولا ليحصل على مشاهدة الأنوار، بل قياماً بما أمر الله سبحانه واقتداء برسول الله صلى الله عليه وآله، حتى يجاهد نفسه فى ذات الله حق الجهاد خالصاً مخلصاً، وعندها يورثه الله تعالى ذوق هذه الأسرار، وينتشله سبحانه وتعالى من ظلمات الشك والشرك والظلمية والجهولية إلى أن يعيده كما بدأه، مشاهداً لجمال ربه سامعاً لكلامه سبحانه منه كما شهد وسمع يوم ﴿أَلَسْتُ﴾،

قال الله تعالى: ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ ۖ ثُمَّ رَدَدْنَاهُ أَسْفَلَ سَافِلِينَ ۖ إِلَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾ التين ٤-٦ وقال سبحانه وتعالى: ﴿اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ ءَامَنُوا يُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ﴾ البقرة ٢٥٧ فمن أخرجهم الله سبحانه من الظلمات إلى النور فشهد ما لم يشهده غيره، فتغيرت أخلاقه وعاداته وصفاته حتى صار غريباً بين أهله ولام عليه من هو في الظلمات، أوجب أن يعود إليها بعد أن أخرجهم الله منها! إنما ذلك يكون لمن لم يشهد تلك المشاهد العلية، ولم يذق من تلك الأسرار الربانية ما يجعله يسارع إلى محاب الله ورضوانه، قال العاشق:

أعد ذكر من أهوى ولو بملامى فإن أحاديث الحبيب مدامى

وهنا يطيب لنا أن نقول:

هى النفس إن طهرت ولاح ضياها لها تنجلي الأسرار حال صفاها
وللعالم الأعلى بليل انمحائها به حجت ترقى بمحو جفاها
تكون لديها روح قدس تجملت بمشهد أنوارى بسر وفاها
وتسبح فى الملكوت فى روض ولطفى يشملها وقد عافاها
إلى حضرة التعيين والوجه مشرق بأنواره العليا لها أحلاها
تبدل تلك النفس بالروح عندها لها تنجلي حضرتى بحلاها
هى الروح روح القدس نور جمالنا إذا لاح فى ذات صفت أعلاها
فتظهر أنوارى لها فى دنوها وعند التجلى تظهرن معناها
يكون لها الملكوت أرض سماؤها جمال صفاتى حال كشف غطاها
ولا أرض فى حال الوصول ولا سما ولا سما لقد بدلت والنور عم رباها
ومن حيث ولت تشهد الوجه مشرقا محيطا بها لتذوق راح هداها
فتهدى به لسبيله بمعونة وتحظى بمشهده ونيل رضاها
تنال الرضا وبه كذا الرضا به عنها فى صبح وليل سراها
وتشرق شمس الحق تكشف آية لعينى مكانتها وذاك مناها

تكون إذن روحاً تزكت وطهرت
بهذا يكون العبد عبداً حقيقة
هو الفرد منظور بأعين فضله
له نزل القرب العلى بفضله
وكيف يذوق العقل والعقل عاقل
ويدرك بعد الاتباع بهدى من
نعم ﴿قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ﴾ يفرح من حبي
وذلك بعد الاتباع بهدى من
ورحمته العظمى بوسعة فضله
وعمل بسنته ونهج صراطه
ألا يا حبيب الله أنت وسيلة
لها فتفضل يا حبيبي بنظرة
إلى أن تمتع منك يا سيد الورى
حبيبي وأدخلها مدينة فضلكم
نعم هيئت وتشوقت لتنال ما
عليك صلاة الله يا سيد الورى

بذات صفت وتجملت بحلاها
له من مقامات الرضا أعلاها
هو النور معلوم لأهل حماها
وأساره تخفى ولو أبداها
مداماً صفا عن مثله أخفاها؟
به هو النور نور الذات جل علاه
نعم وبرحمته يلوح سناها
هو النور نور الذات جل علاها
وباب وصول للذى يهواها
وآداب سنته ومن والاهها
لذاتى تداركها تنل جدواها
بها تصفو من أدرانها وجفهاها
بوصلك يا طه ونيل صفاها
فوصلك يا مولاي خير قراها
به تسعدن لشهود حسن رباها
صلاة بها أحظى بنيل صفاها



رحيق من الكمالات الإلهية مراتب التوحيد

❖ السماع ❖ التسليم ❖ التصديق ❖ العلم ❖ الذوق ❖ الكشف ❖ الشهود
❖ الرؤية ❖ المعرفة ❖ التحقيق ❖ الاطلاع ❖ الفناء

علم وذوق ووجد	حال مقام وود
فهم لأسرار غيب	كشف لحالي يبدو
تجرد عن قيود	ورشف راح وورد
شهود معنى صفاتي	إذا عداك العبد
موت حياة ووصل	قرب وماتم بعد
محو عن الأين وصل	للذات والغيب يبدو
تناولن من طهوري	ومن جمالي تمد
تبدو ضياء بنوري	من بعد ذا ليس صد
جمع به أنت غيب	تجلي لذاتي فرد
تمد بالنور أهلي	منك الهدى والرشد
في عالم الملك نور	وعند أعلى ممد
مرآة وصفى وحسنى	باب وليس يسد
أفق لمجلى المعاننى	لك المعالم تبدو
تكون خمراً وراحاً	إطلاق شرك قيود
غيباً طهوراً بمعنى	تجدد لا يورد
غيباً عن الروح لكن	لك الصفا والمجد

عبد تجملت منى ومطلع على لك حد
هذه مراتب أهلى وأوصافهم لا تحدد
جمع ففرق فمحق صب خليل فعبد
أواه لو كنت أبدى ما فى الفؤاد وأحد
نطق الجهاد ولاحت أنواره وهو أحد
لكن حالى خفى يدريه غوث وفرد
غيب وليس طريق وللمرادين يبدو
صل وسلم وبأرك على الحبيب تمجد

الأسماء والصفات

أسماء الله الحسنى

قال تعالى: ﴿وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ﴾ الأعراف ١٨٠.

أسماء الله الحسنى تسعة وتسعون، منها سبعون جمال، وتسعة عشر جلال، وعشرة كمال.

وهذه الأسماء جميعها كمال للذات الإلهية، وهى مقتضى حضرة الرب المعبر عنها

بالواحدية.

فالذات الإلهية فى عماء العماء وغيب الغيب وظلمة الظلمة، ما تعلمه عنها ذرة تراب هو

ما يعلمه أكمل الرسل، ولكن للذات كمال، هذا الكمال مقتضى حضرة الأسماء والصفات

التي هى الرب، هذه الحضرة لم تستطع أن تتحمل غيب حضرة الذات ولا تقف أمامها،

لذلك انفصلت عنها واستوى الرب على العرش ليدبر الكون.

وحضرة الرب لها كمال وكما لها التجليات، وكما التجليات الآيات، وكما الآيات ظهورها في الكائنات. فمن حجبت الكائنات عن الآيات رُد إلى أسفل الدرجات، ومن شغلته الآيات عن التجليات كان من الأنعام والبهائم، ومن حجبت التجليات عن الصفات سقط في هاوية الفردوس، ومن وقف عند الأسماء ولم يتعدّها إلى مجلى الذات، حُجب في مقعد الصدق عن شهود ذات الله عز وجل.

لذلك فالذى زُجَّ به في كل هذا ولم يقف عند جنات ولا فردوس ولا مقعد صدق ولا نور وجه ولا القدس الأعلى، هو فرد واحد (فقولوا عليه الصلاة والسلام) معنى ومبنى حيثما ظهر وفي أى زمان ومكان ظهر، فهو الذى سماه السدرة التى انتهت إليها كل علوم الخلائق، أى منتهى ما علم الأنبياء والرسل والأولياء وغيرهم، وأما ما فوقها فلم يعلمه إلا هو، وما وصل إليه غيره ﷺ.

أسماء الله الحسنى بالتفصيل

اسم الذات	الحيطة الاسمائية	الحيطة الصفاتية	أسماء الكمال	أسماء الجمال الصرف	أسماء الجلال الصرف	أسماء الجمال الجلالى	اسماء الجلال الجمالى
الله	المؤمن	القدوس	الحق	الرحمن	الحميد	القادر	السلام
سبحانه وتعالى	المتكبر	المهيمن	الحى	الرحيم	المحيي	الوالى	الرافع
	الوهاب	السميع	الصمد	الخالق	المتقدم	مالك الملك	المعز
أسماء الحيطة الكبرى	الرزاق	البصير	الأول	البارئ	المدل	ذو الجلال والأكرام	الحسيب
هو	الفتاح	الخبير	الأخر	المصور	القوى	المقسط	الواجد
القيوم	العليم	الكريم	الظاهر	الغفار	المتين	الموارث	الماجد
	الحليم	المحصى	الباطن	الباعث	المؤخر	المقيت	المتعال
	الحفيظ	البدیع	الواحد	اللطيف	المنتقم	المعيد	الجامع
	المغيث	المبدىء	الأحد	الغفور	النافع	الشهيد	الولى
	الواسع	الباقي		الشكور	النور	الوكيل	
	الصبور			المجيب	الهادى		
				الودود	الرشيد		

هى الأسماء تظهر مقتضاها
أضاءت بالتجلى في ظهور
ألاحت للنفوس إذا تزكت
تراها الروح بالإشراق جهراً
ليشهد من دعى بذاها
وهذا الكون مظهرها علاها
شموساً أظهرت معنى هداها
بأثار وحقاً لا تراها

وكل الكون مرآة لنور
 جلال مقتضى عظموت مجد
 هى الأسماء يشهدها مراد
 فأبصرها بها غيباً مصوناً
 هى الأسماء تظلل من أرادت
 وقد جهلت وقد عرفت وخفيت
 علت قدراً عن الأرواح مجداً
 هى الأسماء غيب الغيب تجلى
 تنزلها جمال من جميل
 وكم قد أسكرت فرداً مراداً
 فتسلبه إذا ظهرت وتجلي
 وكم جذبت إليها من مراد
 إذا نظرت إلى فرد بعين
 هى الأسماء ومن أزل لأبد
 هى الأسماء لذات قد تعالت
 على أظهرت فيه بهاها
 جمال يقتضى فضلاً رضاها
 رأى بعينها الحسنى صفاها
 وقد حجب النهى قهراً سناها
 وتلبسه لباساً ومن حلاها
 وقد ظهرت وسترت فى حماها
 ولاحت بالتنزل فى عطاها
 لأهل الاصطفا فى مقتضاها
 تفيض الخير يولى فى علاها
 تجنن فى هواها ما رآها
 له ولدى الشهود صفاً وتاها
 تجرد فى هواها عن سواها
 يفر بها إليها فى دعاها
 تليح جماها تبنى ضياها
 وروحى تبتغى منها رضاها

دلائل معانى صفات الله تعالى

قال الله تعالى: ﴿إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى الْأَرْضِ زِينَةً لَهَا لِيَبْلُوَهُمْ أَنَّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾ الكهف ٧.

لا يفقه الحكمة إلا أهلها، قد أظهر الله دلائل معانى صفاته جليلة للعيان فى غضون ما أبدعه فى الكائنات من أنوار مزدوجة وممزوجة ومتشابهة ومتعددة، مما لا يحصى بياناً للعقول التى تعقل عنه سبحانه، بياناً جعلها تتمثل من معانى الصفات ما جعلها ماثلة للحس

والعقل والنفس والروح، فابتلاء الإنسان بجميع مشتبهاته وملاذه ضرورية وكفالية ليتعرف إلى الله بما أسداه من عظام نعم التي هي نهاية مبتغاه، التي تشغل كل قوة من قواه بملائمها لتكشف له عجائب قدرته وغرائب حكمته، فيفر إلى المنعم المتفضل المبدع الحكيم القادر بالمحبة والشكر، فلا تحجبه عنه نعمائه ولا تبعده عنه الآؤه تفريداً له سبحانه بالألوهية والعبودية والمحبة، فيقيم الحجة أنه أدى الأمانة لمن حملها له، وأنه أفرد بالعبادة وبالاستعانة به، قال تعالى: ﴿إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى الْأَرْضِ زَيْتَةً لَهَا لِنَبْلُوهُمْ﴾ الكهف ٧، أى لحكمة ابتلائهم بها، فمن وقف عند النعمة فطلبها من غير حلها الشرعى، واستعملها في غير ما وضعت له ساء عمله، ومن طلبها ليتعرف إلى الله تعالى في طلبها قياماً بأمر الله بالسعى في كشف أسرارها الباطنة فيها عن المحس والجسم، بل وعن العقول أيضاً، فلا تلوح للعقول إلا بقدر أنها دلائل تلفت القلوب إلى النظر فيها، والأرواح إلى شهود ما فيها، ليوقن بتفريد الله تعالى بالوحدانية وباختصاصه بالعبادة دون غيره وبأنه هو المبلى، يبلى من يشاء بما يشاء، لتظهر حقيقة نفسه أهى من الجواهر النورانية أم هى نفس من طينة الخبال. هذه الآية الشريفة تقيم الحجة أن الخير والشر فتنة وبلاء، قال تعالى: ﴿وَنَبِّؤُكُمْ بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً﴾ الأنبياء ٣٥، وقال ﷺ: (اللهم ما منحتنى مما أحب اجعله مُعِيناً لى على ما تحب، وما زويت عنى مما أحب اجعله فراغاً لقلبى فيما تحب).

اللهم إنى أعوذ بوجهك الكريم من بلاء يشغل القلب بغيرك، ومن فتنة تلقى الأهواء في القلب، وأسألك عنايتك وفضلك وعفوك وغفرانك ورضوانك، إنك مجيب الدعاء.

ظلمة الكثرة ونور الوحدة

قال تعالى: ﴿وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ﴾ هود ٧، العرش حيطة مكوناته لا محل له تنزهه، والكون وحيطته افتتحة الحق جل جلاله بالرحمة وقال ﷺ يقول الله تعالى: (سبقت رحمتى غضبى) فالإيجاد أولاً، والإمداد بما به كمال الإيجاد سبقت الرحمة، ولولا أن الرحمة سبقت لم يوجد شيء، ولما كان العرش حيطة الكائنات، وكان هو والكائنات مفتتحاً لإيجاده بالرحمة، أشار الله تعالى إليه جل شأنه بقوله تعالى: ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾ طه ٥، وتلك الإشارة لها غامض علم ينكشف لأهل التمكين بعد التلوين، وطهور تحتسيه الأرواح الكاملة من كوثر الحب

بعد القرب، ونور تقتبسه من مشكاة الأنوار المحمدية في فهم المثل الأعلى.

ولما كان العرش محيطاً بالكائنات وقد قال تعالى: ﴿قُلْ أَنْظَرُوا مَاذَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا تُعْنِي الْآيَاتُ وَالنُّذُرُ عَنْ قَوْمٍ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ يونس ١٠١، وأشار سبحانه وتعالى بقوله: ﴿وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ﴾ هود ٧، إلى لوح التوحيد المحفوظ المسطرة فيه دلائل التوحيد بأجلى آياتها، وسطور الأنوار المبينة للأسماء والصفات سر التنزيه والتفريد، كان الماء رمزاً إلى فهم أسرار التوحيد من وحدة مشهودة تبنى في كثرة محسوسة فتظهر واحدة، وتحجب بكثرة عند أهل الحجاب. أما أهل الشهود، فإن الكثرة تحجب بالوحدة عندهم، وهي محسوسة للباصرة وصورة جلية تمثل أمام جوهر النفس الزكية فيجذبها إلى شهود الأسماء والصفات الكثيرة إلى أحدية الذات، قال تعالى ﴿يَرْفَعُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ﴾ المجادلة ١١، وقال تعالى: ﴿يَمْحُوا اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثَبِّتُ﴾ الرعد ٣٩، فيمحو الأسباب ويثبت المسبب في قلب من أحب، ويمحو ظلمة الكثرة الحاجبة عن نور الوحدة، ويثبت غيب غوامض التوحيد بسر واحد، وإلى ذلك الإشارة بقوله تعالى ﴿وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ﴾ الأنبياء ٣٠.

فالجعل إيجاد الأشياء من الأشياء في هذه الآية، كما أن الخلق إيجاد الأشياء من العدم، قال الله تعالى: ﴿مَا أَشْهَدُهُمْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَا خَلَقَ أَنْفُسَهُمْ﴾ الكهف ٥١، وقال تعالى: ﴿وَفِي الْأَرْضِ قِطْعٌ مُتَجَلِّوْرَاتٌ وَجَنَّاتٌ مِّنْ أَعْنَابٍ وَزُرْعٌ وَنَخِيلٌ وَنَخْلٌ وَغَيْرُ صِنَوَانٍ يُسْقَى بِمَاءٍ وَاحِدٍ وَنُقِضَلُ بَعْضَهَا عَلَى بَعْضٍ فِي الْأَكْلِ﴾ الرعد ٤، فمن مزج النور بالنور والراح بالروح من آيات كتاب الله تعالى، انبلجت له أنوار جلية مع كل آية. ولما كان القرآن الكريم من الله لا ينبغي أن يفهم إلا به سبحانه وتعالى، ولا تنكشف أنوار كل آية منه إلا بانبلاج أنوار الآيات كلها بالعجز عن إدراك المتشابه والعمل بالمحكم، ولديها يكون عالماً راسخاً في العلم، قال الله تعالى: ﴿وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِّنْ عِنْدِ رَبِّنَا﴾ آل عمران ٧.

ترجمى روحى أليحى الغيب قد كان بحراً زاخراً في يوم أمس
صار لوح الآى مسجور بما فيه من آى ومن أنوار قدس
شاهدى يا عين بحراً لاح لى آية الرزاق من أنوار شمس

أيها البحر الجلى هل انمحي منك ماء الملح حتى صرت كرسى
فوقك العرش وفوق العرش من أبدع الأشياء يجليها لرأسى
أنت حان الخمر يا بحر لمن ذاق راح القرب عيناً لا بكأس
أشرقى يا شمس الاجتبا بعد شمس الكون كشفاً لا بلبس
واجذبى الأرواح للقدس العلى فالمعانى أشرقت تنبى بأنس
كان رملاً كان بحراً زاخراً أشرق النور وهذا الكون منسى
قد تجلى جل بالوجه العلى قدس الوادى ففرت ثم نفسى



ظهور الأوصاف الجمالية

رؤية الله تعالى

قال تعالى: ﴿وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاصِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴿٢٣﴾﴾ القيامة ٢٢-٢٣، بهذا أثبت الله سبحانه المشاهدة للمؤمنين يوم القيامة، وهذا مقام يناله أهل الكشف ممن قتلهم الحب والكلفة والشوق، والوله والصبابة، وذلك في الدنيا أيضاً، حين لا تستطيع النفس الحبيسة في الجسد أن تنطلق من سجنها وقيدها، وهكذا لا يظفر بهذه النظرة في الوجوه، والنظرة إلى الرب إلا العشاق، إن رؤية المؤمنين لربهم في الدنيا بالقلوب، وفي الآخرة بالانكشاف المنزه عن المقابلة والجهة والمكان. والرؤية نوع من الكشف، والعلم للمرئى يخلقه الله تعالى عند مقابلة الحاسة له بأبعاده، فجاز أن يخلق هذا القدر بعينه بغير أن ينقص منه قدر من الإدراك، من غير مقابلة لهذه الحاسة أصلاً، والصوفي يرى أن القلب والعين شئ واحد، فهو يرى به بعين قلبه الذى به البصيرة وبه الإيمان والحب.

نعم رؤية الوجه الجميل مرادى ومن نظرة منه أنال رشادى
ومن لى بأن أحظى برؤية وجهه فأسعد فى الدنيا ويوم معاد
حبيب إذا ما لاح للروح جملت بعلم الحقائق غيب غيب الهادى

حبيب به روحى رأت وجه ربهها وأكرمها بالعلم والإمداد
شهودك يا مولاي للروح أنسها حضورك يا مولاي والله إسعادى
فوداً أيا مولاي عطفاً ورحمة ونظرة إحسان وخير وداد



عندية الوجود وعندية الوجد

قال الله تعالى ﴿الْمَالُ وَالْبَنُونَ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَالْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ خَيْرٌ عِنْدَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمْلاً﴾ الكهف ٤٦، العندية فوق المعية، وهنا تحلو الإشارة.

ليست هناك مجانسة ولا مشابهة، ولكن المعانى التى تناسب البشرية من جمال الأسماء لها صفات، وتلك الصفات لها تأثير، وهذا التأثير له فى البشرية انفعال، وهذا الانفعال يحدث أثره، وهذا الأثر والفعل الإنسانى إذا كان يظلل النفس بظلال الحق جل جلاله بحسب أسماء المعانى المنزلة ووجود القابل، كان الإنسان مع ربه أو مع الله، ومع ربه أو معه الله تعالى، قال الله تعالى مُخْبِراً عن حبيبه مع أبى بكر: ﴿لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا﴾ التوبة ٤٠، بالنسبة للأثر الذى اقتضته ظلال معانى الصفات لمقتضى الظهور، ويكون العبد معه الله تعالى وهو تابع لا متبع، قال الله تعالى ﴿إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا وَالَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ﴾ النحل ١٢٨، ومع الصابرين ويكون مع الصادقين. ومعية العبد لله تعالى هى بعينها من هذا الوادى، إلا أن العبد فيها يكون محمولاً مستوراً عليه جمعه وهو فى مقام الفرق، حيث يلوح للعقل أن له الاختيار بما ظلله من معانى صفات الجمال، التى تريحه أن فى مكنته من إصدار ما يشاء، وهذا هو مقام الفرق الأول.

تبين لك معنى المعية منك لله ومن الله لك، أما "عند" فهو مقام الاختصاص حيث التجريد بعد المجاهدة الكبرى، أو بعد مفارقة كون الفساد، وتلك العندية قد تكون وجداً، أو وجوداً فوجداً، قوله تعالى ﴿وَوَجَدَ اللَّهُ عِنْدَهُ﴾ النور ٣٩، ووجوداً، قوله تعالى: ﴿لَوْ جَدُوا اللَّهَ تَوَّابًا رَحِيمًا﴾ النساء ٦٤.

سر عنديتى اتحاد شهودى نور بدئى (لدى) بمحو وجودى
كنت بدءاً فى (عند) والوجه صوبى قبلها فلا (لدى) تفريدى
فى (لدى) لم أكن وجوداً ولكن مقتضى وصفه ومحض الجود
ثم فى (عند) أبرزتنى جمالاً صورة للجميل سر صعودى
أبدع العالمين علواً وسفلاً صورة لى لدى بيان عهدى
كنت بدءاً غيباً أطوف بمجلى فى مقام التفريد لا التعديد
أبرزتنى مجلاه رمزاً لكنز كنز غيب يفك بعد شهودى
فوق قدر العقول بدءاً وختماً ذاق راحى الأفراد بالتوحيد
قد تسترت بالمبانى وحالى يجذب الجسم للولى الحميد
سترتنى الآثار قدرى خفى نور قدس لم يدر بالتحديد
نور قدس من فوق نفخة قدس وارث فى مكانة التفريد
حير العارفين حالى ظهوراً كيف يجلى بطونه للمريد

الأمانة هى معانى الصفات

لكل وطن حياة خاصة به ينال بها فيه ما لا بد له منها، لينتقل للوطن الآخر كاملاً مجانساً
للأحياء فيه، حتى يصل إلى ربه بعد طول التطور من لدن ﴿الَسْتُ﴾ الأعراف ١٧٢، إلى يوم ﴿إِنَّ
إِلَى رَبِّكَ الرَّجْعَى﴾ العلق ٨.

فمن طلب فى وطن من الأوطان حياة الوطن الذى بعد وطنه ولم يعمل له، انحط إلى
الأنعام بل صار أضل منها. وأنت محمول فى كل أوطانك إلا فى كون الفساد، الذى به تبلغ
السعادة فى الميعاد، قال تعالى: ﴿إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ
يَحْمِلْنَهَا﴾ الأحزاب ٧٢.

وإن الأمانة هى معانى الصفات التى أنت إشراقها حال شروقها، ولتلك الأمانة كان سجود الملائكة، ولها سُخر جميع ما فى السماوات وما فى الأرض من الله، ونفذ بها من منح عين الصفات فى حظوة مجلى الذات، قال الله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا﴾

النساء ٥٨.

ذُق شراب كليمه فى قوله: ﴿رَبِّ أَرِنِي أَنْظُرْ إِلَيْكَ﴾ الأعراف ١٤٢، فى مقام اللدنية فوق العندية، فجاهد فى وطن الخدمة بحقيقة العبودية، ولا تتشوف إلى ما تناله فى الوطن الآخر، ما دُمت فى وطن التكليف والتعريف، وإن الرؤيا لا تكون لك من عندك ولا تُنال فى وطن التكليف إلا لفرد واحد هو حبيبه ﷺ.

ارض عن رؤيته يقيناً بخبر الصادق الأمين أو بطمأنينة المستنير بالتمكين، وإذا لاح لك منه فيك فى حال صولة الحق عليك، ما يفنيك به عنك ويثبتك به لك منه فيه، فى حال صولة الحق عليك، فقل ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَذْهَبَ عَنَّا الْحَزْنَ﴾ فاطر ٣٤.

وإن قويت الصولة وسترك فأراك طوله، وعلمت أنه لا افتراق بعد الجمع، ذُقت حلاوة خمر (كنت سمعه وبصره)، فقل: الحمد لله ﴿الَّذِي أَحَلَّنَا دَارَ الْمُقَامَةِ مِن فَضْلِهِ﴾ فاطر ٣٥، وذُقت من شميم قوله عليه الصلاة والسلام: (إن لله جنة عاجلة من دخلها لا يحتاج إلى جنة آجلة)، وهى الرضا لأهل التمكين، ومعية الله تعالى لكل صديق رفيق، وطب نفساً بعبير قوله تعالى: ﴿لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا﴾ التوبة ٤٠، وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم وورثته والتابعين.

تحملت الأمانة وهى عبء	ثقيل لا يقاس بكل دين
أبأها العالم العلوى خوفاً	وأشفق عندها فى السفلى كوني
وأنت حملتها وشهدت عندي	فبادر خلها وادخل بحصنى
وعنها فافن لا تشهدك أصلاً	لأنك فرع الطافى وحسنى
بك الأوصاف عن عينى تجلت	كفى ما فيك من وصفى ولونى
تراك مدبراً فرداً مريداً	وتجهل أنها هى من لدنى

إذا لم تكثف وف بحمل وناد إن أردت قضاء ديني
 وإن شئت السعادة قم وناد عليك توكل في كل شأني
 ودع ما فيك من حول وعلم وتدبير وتصديق ومين
 ففي القرآن آية سر هذا ولا حول لعبد يدنو مني
 فمن وافى فبالإحسان وافى وبالكنز المطلسم نور عيني

الإمام الناطق وإن صمت التلاوة والقراءة والترتيل

قال تعالى: ﴿وَاتْلُ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنْ كِتَابِ رَبِّكَ لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِهِ وَلَنْ تَجِدَ مِنْ دُونِهِ مُلْتَحَدًا﴾

الكهف ٢٧.

التلاوة للدعوة عامة أمام الطالب وغير الطالب، والقراءة أخص من التلاوة، والترتيل أخص من القراءة، قال تعالى: ﴿فَإِذَا قَرَأْتَهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ﴾ القيامة ١٨، وقال تعالى: ﴿وَرَتَّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلًا﴾ المزمل ٤.

فالذي يُتلى هو كتاب ربنا، وهو ما يتعلق بالأحكام الشرعية من عقيدة لا نجاة إلا بها، ومن عبادة هي الصراط المستقيم، ومن معاملة تدعو إليها شئون الإنسان، فرسول الله ﷺ أمر أن يتلو كتاب ربه للخاص والعام، وهذا الكتاب هو الفرقان الذي فرق بين الحق والباطل وتسمعه آذان الرءوس، وأما القرآن فالقارئ له أولاً عند إنزاله هو جبريل والسامع له من جبريل هو سيدنا ومولانا محمد ﷺ، وإن كان ﷺ سمعه قبل جبريل من الحكيم العليم، بدليل قوله تعالى: ﴿وَلَا تَعْجَلْ بِالْقُرْآنِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يُقْضَى إِلَيْكَ وَحْيُهُ وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا﴾ طه ١١٤، فإن القوة الإنسانية البشرية تحتاج إلى التعليم من جبريل، وأما النفس العلية المحمدية فإنها تلقته قبل ميثاق الأنبياء، قال تعالى: ﴿وَإِنَّكَ لَتَلَقَّى الْقُرْآنَ مِنْ لَدُنِّ حَكِيمٍ عَلِيمٍ﴾

النمل ٦.

وفى قوله: ﴿كِتَابِ رَبِّكَ﴾ الكهف ٢٧، إشارة إلى أنه قد أنزله الله تعالى عند مقتضى إنزاله، وأنه هو حُكْمُ الله المتعلق بالمكلفين، وتلاوته فرض على رسول الله ﷺ، وعلى كل بدل من أبداله ﷺ. والحجة إنما تقوم بعد تلاوته لا قبلها، ومن لم يسمع كلام ربنا فهو من أهل الفِترَةِ، وبسماعه تنبج أنوار السابقية، وبقبول ما جئنا به ﷺ تثبت سابقة الحسنَى. والقبول الذى يثبت سابقة الحسنَى أن تكون تلاوته ذكرى للسامع، تمثل له العهد الأزلى، وهو دعوة الله لذرية آدم يوم ﴿أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ﴾ الأعراف ١٧٢.

فإذا تمثل جوهر النفس بالتذكر حقيقة وذكر، اقشعر جلده ثم لان قلبه وجلده إلى ذكر الله، أى الذكر الذى يجدد الذكرى، ووجود حلاوة القبول بالمسارعة إلى قبول ما أمر الله به، وإلى ترك ما نهى سبحانه عنه، ثم عناية الله للعبد بأن يجعل له أصحاباً ينهضونه بحالهم، ويدله على الله أفعالهم، ثم وجد أن الرحمة للخلق أجمعين، الأقرب فالأقرب، ثم المسارعة إلى محاب الله ومراضيه.

فإذا توفرت تلك الحقائق كلها ثبتت خاتمة الحسنَى، وقامت الحجة للعبد على سابقة الحسنَى فيه، قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُمْ مِنَّا الْحُسْنَىٰ أُولَٰئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ﴾ الأنبياء ١٠١، ومن علامة ذلك طمأنينة القلب مع الخشية، قال تعالى: ﴿أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمِئِنُّ الْقُلُوبُ﴾ الرعد ٢٨، وخشوع الجوارح مع المسارعة إلى نوافل البر، وهذا هو الولى الله الذى أخبرنا الله أن له البشرى فى الحياة الدنيا وفى الآخرة، ولا تبديل لكلمات الله.

ومن دلائل السعادة أن يصحب من يرتل القرآن أو يقرأه سماعاً عن رسول الله ﷺ، فإن من سمع هذا فى عصره ووجد حلاوة السماع ولين القلب، عليه أن يفرح بفضل الله ورحمته.

أنواع الكتاب العزيز

قال تعالى: ﴿وَإِنَّكَ لَتَلَقَى الْقُرْآنَ مِنْ لَدُنِّ حَكِيمٍ عَلِيمٍ﴾ النمل ٦، إن الكتاب العزيز أنواع، فمنه ذكر وكتاب وتنزيل وفرقان وقرآن. فالقرآن يتلقاه ﷺ من الله مباشرة، لأنه يتعلق بالعلم الإلهى، بخلاف بقية أنواع الكتاب العزيز، فإنه يتلقاه بواسطة سيدنا جبريل عليه السلام، ولذلك

يقول: ﴿وَإِنَّكَ لَتَلْقَى الْقُرْآنَ مِنْ لَدُنِّ حَكِيمٍ عَلِيمٍ﴾ النمل ٦، ثم أشار إلى بيان الحقيقة في التلقى بقوله تعالى: ﴿إِذْ قَالَ مُوسَى لِأَهْلِهِ﴾ النمل ٧، حتى قال له سبحانه: ﴿يَمُوسَى إِنَّهُ أَنَا اللَّهُ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ النمل ٩، فشهد سيدنا موسى ﷺ الحق جل جلاله ظاهراً في تجلياته برمز النار المشير إلى الجلال، وتلقى رسول الله ﷺ القرآن بلا مظهر، لأنه فرد ذات الله المراد له سبحانه، ومن سواه وما سواه مرادون له ﷺ، سر قوله ﷺ في الحديث القدسي: (إني خلقت محمداً لذاتي و خلقت آدم لمحمد و خلقت الكون لآدم) و سر ما أبهمه سبحانه و تعالى عن الأرواح الكاملة بقوله تعالى: ﴿فَأَوْحَىٰ إِلَىٰ عَبْدِهِ مَا أَوْحَىٰ﴾ النجم ١٠.

فلم يبين سبحانه للعقول ولا للأرواح أنه تعالى ظهر له بمظهر من المظاهر، كما بين ذلك في حق الخليل والكليم عليهما الصلاة والسلام، فإن الخليل صلوات الله عليه شهد الحق في مظاهر الأفلاك، والكليم ﷺ شهد الحق في مظهر النار، والجناب المحمدي صلوات الله وسلامه عليه شهد الحق جل جلاله ظاهراً وكلمه مكاشفة، فالقرآن هو الكلام الذاتي الذي تلقاه ﷺ من الله تعالى بلا واسطة ولا مظهر.

تفصيل أسماء القرآن

القرآن هو علم الذات والأسماء والصفات والأفعال.

البيان هو علم أيام البدء والميعاد.

الفرقان هو علم أحكام الشريعة الغراء.

النور هو علم تزكية النفوس.

التنزيل هو علم كشف حقائق مواجهة الإلهية.

الكتاب هو علم جامع التاريخ والعبر.

الهدى هو علم بيان الصراط المستقيم لأهل المعية.

سر القراءة

قال تعالى: ﴿أَقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ﴾ العلق ١، جرد نفسك وكيانك كله، واجعله أسباباً لغاية معرفة الله تعالى، وما كان القرآن فقط بهذه الكلمة الأولى (القراءة) وحسب، وإنما القراءة رمز لكل ما يأتيه الإنسان في الجانب الإيجابي، وكل ما يدعه في الجانب السلبي، أمراً ونهياً... تمتع بحلاله، وابتعد عن حرامه، وتمسك بالعقيدة، واعمل صالحاً.

بيان رموز القرآن في أوائل السور

الحروف المذكورة بأوائل بعض السور ذكرت بأسمائها لا بمسمياتها، والأمرى ينطق بمسميات الحروف لا بأسمائها، وبما أنها من قول الله تعالى فلا حصر لمعناها رغم صغر مبناها، لأن كلامه جل جلاله بلا بداية تعرف، ولا نهاية توصف، ويمكن أن نشير إلى بعض رموزها:

﴿الْم﴾ "ا" أنت، "ل" لذاتي، "م" مظهر

﴿الْمَص﴾ "ا" أنت، "ل" لذاتي، "م" مظهر، "ص" صفاتي.

﴿الْمَرْ﴾ "ا" أنت، "ل" للورى، "م" مرب، "ر" رحيم.

﴿الرَّ﴾ "ا" أنت، "ل" للوجود، "ر" روح.

﴿كَمِيعَص﴾ "ك" كملت، "ه" هويتك، "ى" يا، "ع" عينا، "ص" صدقت وشهدت ذاتي.

﴿طه﴾ "ط" طاعتك، "ه" هدى.

﴿طسَم﴾ "ط" طويت، "س" سر، "م" مكانتك.

﴿طس﴾ "ط" طهرت، "س" سر سويداء قلبك ووضعت فيه الحكمة.

﴿يس﴾ "ى" يا، "س" سرى السارى فى سائر أولياتي.

﴿ص﴾ "ص" صافيتك واصطفيتك.

﴿حم﴾ "ح" حميت، "م" مقامك الرفيع من التعدى عليه، وأحارب من حاربك،
وأعادى من عاداك.

﴿حمسق﴾ "ح" حميت، "م" مشاهدة، "ع" عينك، "س" سترت سر، "ق" قلبك. أى: إن الله يقول لحبيبه: خصت ذاتك لمشاهدة عين الحقيقة،
وحميتها من مشاركة الغير فلا يعرف ذاتك إلا أنا.

﴿ق﴾ "ق" قدمتك وقربتك فأنت المقدم أولاً وآخرًا.

﴿ن﴾ "ن" نور وجودى أنت.

التغنى بالقرآن

الحب والحكمة غذاء الأرواح، والأغاني طهور الحب، قال عليه السلام: (ليس منا من لم يتغن بالقرآن).

والقرآن هو ما دل على كمال الأهمية وجمالها وجلالها وبهائها ونورها وضيائها، كما أن الفرقان ما دل على الأحكام المتعلقة بالشرعية، والذكر ما دل على العبر والأحداث التي وقعت للأمم السابقة، فالتغنى بالقرآن خمرة الأرواح الجاذبة إلى الفتاح، ولذلك فإنك إذا سمعت الحكمة مبينة بلسان العبارة أو الإشارة، انتشت روحك واقشعر الجلد واهتز الجسم، وقام بما لا يمكن أن يقوم به إلا بسماع تلك الأغاني.

وإننا إذا أبحنا الأغاني فإننا نبيحها مع أهل الأدب الذين تركت نفوسهم، وبأصوات متناسبة وبعبارة مجملية بكمال الأدب الشرعى، بعيدة عما يوقع السامع في حيرة، أو يلقي به في وحلة التوحيد، أو يوقعه في حضيض المكانة البهيمية، ومتى توفرت تلك الشروط كانت الأغاني جذبة حق لحق، وخطفة تلوين إلى مقام تمكين.

والله ولى المؤمنين.

لدى محو ظلى فى مقام وجودى
عن الحس فى غيب الصفا التجريدى
وأصغى إلى التسبيح بالتفريد
شهود المعانى فى انمحاء جديد
لها الغيب أفقى والبها مقصودى
معالم تخفى نشأتى وحدودى
فنائى عن الأخفى بصفو ورودى
وهيكل ذاتى سدرة التفريد
به قدس الوادى بنور ودود
وقد غشيت تومى بسر شهيد
بها كل ظل بالضيا التوحيد
ولا غرب آى الذكر قول حميد
أضاءت بمعنى مبدئى ومعيدى
لها الختم ذق من حوضها المورد
ل " كان " نعم " كن " فى الصفا المحمود
لقد خفيت عن ذوق كل فريد
أيا " كن " : نعم من " كان " ثم عهدى
بعين رأت بضياء سر وجودى
لأن وجودى مثبت تفريدى
شهود البقا بعد الفنا التوحيد
أرى البدء يلوينى إلى التريد
محا نوره ظلى محا تعديدى
ولى باطن يخفى عن المبعود

تغنيت بالأخفى بنور شهودى
أغانى تنبى باتحادى وغيبتى
أرتل آيات التجلى بظاهرى
ولى نشوة حال الأغانى تبيح لى
تلوح لعين الروح شمس نزاهة
وأنوار مجلى الذات فى حظوة الضيا
صوت وفى حال الأغانى يلذلى
أرى نور وجه الحق حيطة وجهتى
ولى قبس من نار شمس كمالها
وسدرة ذاتى حيطة أولية
أضاء سناها الشرق والغرب فانمحي
فلا شرق بعد ظهور نور مقامها
محا نورها الأفياء وهى هى التى
لها البدء أزلا " كن " تشير لقدرها
لها البدء " كن " سر الإرادة نشأتى
أغنى ولى حال الأغانى إشارة
نعم " كن " أضاءت من ضيا " كان " أولاً
أشاهد بدئى لا بوجد وإنما
ولا بدء فى حال التأله يبدو لى
تفردت فى أفق البيان وصح لى
أفى حظوة التقريب والوجه وجهتى
فحاشا وقد صح اتحادى بواحد
ولى ظاهر قد لاح للروح مجملاً

وليس لوجد بل لعين وجودى
نظمت بعقد أحبه وعبيد
أرانى مهنى من عطاء مجيد
مع المصطفى فى نظم عقد جدودى
إمام الهدى المختار بل مقصود

تغنيت لا لتواجد من شهوده
نعم صار سمعى بعد إثبات نسبتي
تغنيت تحناناً إلى البدء " كن " عسى
أفوز بحسن السابقة والرضا
صلاة على الشمس المضيئة أولاً

* * *

الفصل الثانى

نطق الآثار بما فيها من درر الأسرار

انبلاج الآيات وظهور التجليات

السائحون

قال عليه السلام: (سافروا تصحوا واغزوا تستغنوا). هذا حديث رسول الله صلى الله عليه وآله، والسائحون أنواع: سائح للنظر فى الكائنات والاعتبار، وسائح فى طلب الصحة، وسائح لتحصيل العلم والبحث عن المرشد الدال على الله، وسائح ليدل الناس ويبين لهم سبله، وقد تكون السياحة لأغراض أخرى.

سياحة العقل فى الآيات للجذب
ما فوق أعلى روحى فى مؤانسة
يا روح عقلى من بدء السياحة فى
العقل للكون للآيات يشهدا
من بعد هذا فسبح النفخة الكبرى
سبحت فى غيب الأسماء مجتدياً
جسمى سياحته تفصيل بغيته
حتى يكون هو البيت المعمر بال
يا نفخة القدس فرى واسبحى حتى
سياحة الروح فى الأعلى للقرب
يجلى لها النور من وصف ومن غيب
عظيم حيرته مما أرى صوبى
والروح للآى للأوصاف للحب
فى نور مقتدر فى حظوة الرب
شهود ما فى من وصف بلا حجب
كشف الحقائق من عالٍ ومن ترب
غيب العلى بحوض الطهر والشرب
تشاهدى هيكلى رق البها ينبى

يا هيكلى أنت معراج إذا ساحت
بل أنت رفرهها إن نفختى سبحت
وأنت رق لآيات تدل على
وأنت صورة رحمان تمثل ما
جمعت يا هيكلى الحقائق من
فيك الملائك فيك الجهر والأخفى
فيك الشياطين فيك الآية الكبرى
تسئ يغفر أوزاراً تقارفها
مولاي بدل ذنوب العبد بالحسنى
أقم عبيدك محبوباً ومتبعاً
سخر لى السفلى والعاليين أيدينى
أكرم بنى وأحبابى وجملنا
وافتح كنوز العطايا سيدى هبنا
مولاي آنسنا بالكشف فرحنا

نعمك تمنحها من شئت بالحسنى

مراتب المظاهر الربانية والتجليات الإلهية

الآيات والمكونات والتجليات والأسماء والصفات ومجلى الذات وطمس الطمس وعمماً
العمماً وغيب الغيب ومحق المحق وخفا الخفا.

هللوا أو هينموا كشفاً عيان
واحضروا واستحضروا سر الظهور
أسفر الفجر أراناً فيه ما
رتل البحر لنا آياً كذا
يا جمالاً لاح في البحر وفي
فوق بحر الروم آيات حسان
قد تجلى الحق يولينا البيان
قد يرتل من معان في القرآن
رتل البر بلحن لا لسان
تلكمو الصحراء صارت لى دنان

كل شئى سبح الله أرى
اسمعى التسبيح يا روحى اشهدى
هل أنا فى العالم الأعلى أرى
أم أراى فى البرلس حيطتى
قد يرى البحر الفتى فى صفوه
وى أماء أنت! أم لـوح به
قد يراك الغرماء لا يرى
أسفرى يا شمس أو أشرقى
كل أنفاسى أرى الوجه العلى
أبدع الأكوان أجلى آية
يا غمام ويا نسيم ويا ثرى
غير أن الآى لا يشهد لها
فوق تلك الآى غيب غامض
فوقها الغيب المصون منزه
حيث طمس الطمس فى عماء العما

فى خضم البحر أسرار المعان
عين روحى آى ربك فى الكيان؟!
غيب مجلاه يلوح لدى التدان؟!
ذلك البحر أرى فيه الجمان؟!
حيث فيه الآى تنبى بالحنان
سطر الرحمن أسراراً تصان!
ما تجلى من عطايا من جنان
إن قلبى فى شهود فى أمان
ظاهراً فى كل عال كل دان
للفتى يدعى (كن) جذباً (لكان)
كل مخلوق بها فضلاً يعان
غير محبوب وعشاق وفان
فوقه الأسماء لاحت لى عيان
فوقه المجلى تعالت عن بيان
لابين لا يشاهد فى الجنان

الظاهر

أظهر المظاهر ليظهر بجماله وجلاله، وأخفى جماله وجلاله ببهائه وضيائه، وستر بهاءه وضيائه بكماله، وغيب كماله بأحدية ذاته، فلا ظهور للنور والبهاء، ولا بيان للكمال، ولا إشارة عند مجلى الذات، وكان ولا شئ قبله، وهو على ما عليه كان، فمن جذبته الآيات فى الكائنات ثبتت له الهداية، ومن جذبه الجمال والجلال فى الآيات صحت له العناية، ومن اختطفه البهاء والنور زج به فى الغيب المصون، ومن اصطنعه لنفسه فى مقام العبادة لا تعلم نفس ما أخفى له، وفوق ذلك عماء العماء، فأمسك عن العبارة، فلا تباح لك الإشارة ﴿هُمُّرٌ

دَرَجَتٌ عِنْدَ اللَّهِ﴾ آل عمران ١٦٣.

للآيات نشوة تفقد الحس مقتضياته، وللتجليات صولة تدك بها الأطواد، وتصعق بها الأرواح، وهذا في مقام الجمال والجلال، فإذا ارتقى إلى البهاء والضياء، اختطفته العناية فرمت به في بادية الإلحاد، فحار ودار ونسى الآثار ونسى الديار ﴿أَلَا إِلَى اللَّهِ تَصِيرُ الْأُمُورُ﴾

الشورى ٥٣.

المجذوب من سترت الآيات عن حسه الكائنات، والمختطف من أخفت التجليات عن قلبه الآيات، والمصطنع من جذبته سواطع أنوار الجلال والجمال، حتى يتفجر له فجر الحقائق في ظلمة ليل الحيرة فيقول ﴿لَا أَحِبُّ الْأَفْلِينَ﴾ الأنعام ٧٦، لديها ينظر ربه بالعين من غير بين.

والمصطفى غيب عن الغيب الذى وصلت إليه نفس المصطفى، وهو الذى بلغ مقام أن أقسم الله به بقوله ﴿لَعَمْرُكَ﴾ الحجر ٧٢، وهو سدرة منتهى علوم الخلائق، إليه يصل كل مقرب، ومنه يستمد كل مرسل، وهو البرزخ بين الحق والخلق، قال سبحانه وتعالى ﴿مَا زَاغَ الْبَصَرُ وَمَا طَغَى﴾ النجم ١٧، وإنما هو شميم من شذا عبير نسيمات روض القرب الاجتباى، كشف الستار عن الروح الكاملة، فأشرق عليها النور المتشعشع من الروح الكلية، ففهمت منه بقدرها ما بينته بقدر السامعين ﴿وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا﴾ الإسراء ٨٥.

الظاهر والظهور

بين الظاهر والظهور كما بين الدنيا والآخرة، والظهور لمن تزكت أنفسهم في الدنيا، والظاهر لمن سبقت لهم الحسنى في الآخرة، ومن لم يظهر له الظهور فيجذبه إلى ما يحبه الظاهر، كان إلى الوعيد أقرب، ومن أين له من ذلك المهرب؟! إنما يجب عنك الظاهر ما دمت في المظهر، ويلوح لك الظهور وأنت في السور، لتجمع بين الضدين، ولتنكشف لك أنوار الحضرتين بلا حجب ولا بين، فتفر منك ومن الكونين إلى القريب الظاهر، ولا أثر بعد عين الاقتراب بك في مقام التوبة، والتقريب به في حال الرغبة.

الظهور والمظهر

إنما يعرف الظهور بضعف المظهر، وإنما يعرف الظاهر إذا علت حكمة الظهور، والحيرة

مفتاح المعرفة، فظهور المظهر: خفاء الظهور وبطون الظاهر، وهو الأول والآخر، وبين المظهر والظهور برزخ السلب والإيجاب، ومتى يظهر اللباب والمحيط به حجاب؟! وإنما هو قبس من وميض بروق الشروق، ولمحة التفات إلى ضوء الإشراق، وتنزه في قدس مجد وعظمة الخلاق، والشوق إليه قاهر، وحجبه النور، لو رفع حجاب منها لأخفى الظلال، وأخرس السنة السؤال، قال تعالى ﴿وَيَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَلِ وَالْإِكْرَامِ﴾ الرحمن ٢٧.

مقامات العارفين

قال عليه السلام: ﴿ثلاثة يذهبن الحزن: الخضرة والماء والوجه الحسن). فالخضرة هي الحياة المشهودة في الكون للعارف ذوقاً وهي في كل شيء. والماء يراد به من التجليات لأسماء الله تعالى وصفاته، ولذلك قال الله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ﴾ الأنبياء ٣٠. والوجه الحسن هو وجه الرب جل جلاله لقوله تعالى: ﴿فَأَيُّمَا تَوْلُوا فَمَنْ وَجْهَ اللَّهِ﴾ البقرة ١١٥.

لأن المقامات ثلاثة للعارفين: إسلام وإيمان وإحسان. ففي الإسلام مشهد الكون. وفي الإيمان مشهد وحدة الكون. وفي الإحسان مشهد وجه المحسن الرب الجليل، لقوله تعالى: ﴿وَيَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَلِ وَالْإِكْرَامِ﴾ الرحمن ٢٧.

ظهور في المظاهر للعقول	ونور في الظهور به وصولي
ظهرت بلا حجاب في المعانى	لمن صافيتهم بعد القبول
وأخفيت المظاهر عن قلوب	رأت نور الظهور بلا دليل
وأخفيت الظهور لدى التجلي	ففاز بالولاية والمثول
همو الأفراد فوقهمو رجال	جذبتهمو بحبك في النزول
رأوا غيباً مصوناً عن بيان	جمال الوجه لاح من الجميل
جمالك ظاهر في كل شيء	ونورك ساطع فيه مقبلي
قريب أنت للأرواح تجلي	تراك الروح نزه عن مثيل
مجيب أنت للداعى إذا ما	تلقي السر من خير رسول
يراه الناس إنساناً ولكن	هو الغيب المصون عن الفحول

تلقي الغيب عن مولاه فضلا

الإنسان صورة الرحمن

قال تعالى: ﴿إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾ البقرة ٣٠.

الإنسان هو العالم الأكبر، فظاهر القلب عرش الرحمن، وباطن القلب بيته المعمور، فإذا عمره سبحانه بمعاني صفاته فيه كان سدرة المثل الأعلى وزجاجة المثل (بفتح الثاء) العلى، وكان الهيكل صورة الرحمن، ويكون الكون كله صورة هذا الإنسان الكامل، محل استجلاء معاني الصفات، فظهر به الجمال والجلال، ظهور الحقيقة لا المثال، وتشهد ذلك أرواح الحافين بالعرش، ونفوس المهيمين في العرش، حتى يعم كل تلك الأرجاء نور الشمس، فيكون نوراً على نور في الغيبة والحضور، من هذا القلب المعمور تعرج أسرار البطون إلى السقف المرفوع " رأس الهيكل الكامل "، وتتشعشع تلك الأنوار على الرق المنشور " ظاهر الهيكل "، متفجرة ينابيعها من البحر المسجور " سويداء القلب "، فتسخر العوالم علواً وسفلاً للسدرة المغشاة بغيوب التجلى، وتسارع أرواح عالين وأشباح أهل اليمين لخدمة هذا المظهر، من حيث الظهور فيه لأن الله مواليه، وهذا سر ﴿إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾ البقرة ٣٠.

سر النور المجمعول

قال تعالى: ﴿وَمَنْ لَمْ يَجْعَلِ اللَّهُ لَهُ نُورًا فَمَا لَهُ مِنْ نُورٍ﴾ النور ٤٠.

الإنسان صورة من الصور المجملة بالهبات المنسوجة في أكمل مراد للذات، بل صورة مؤهلة لأن ينفخ فيه روح قدسية تجعل له الكون أفقاً منيراً بالآيات ظاهراً بالجملات، بل مخلوق خلق ليكون جمالاً للعوالم، وكمالاً للمظاهر وخليفة عن الظاهر، مُنح الاستعداد والقبول ما يجعله أهلاً للوصول، وهو هو الطينة اللازمة، والمنى الذى يمنى، والحيوان الأعجم والشيطان الرجيم ﴿وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ﴾ إِلَّا مَنْ رَحِمَ رَبُّكَ ﴿هود ١١٨-١١٩.

خصوصيات من لدن تخصيص الإرادة وإطلاق العلم: ﴿إِنَّ الَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُمْ مِنَّا الْحُسْنَىٰ أُولَٰئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ﴾ الأنبياء ١٠١.

شئون اقتضتها الكمالات الإلهية، وأسرار أراستها الكمالات الذاتية، ولكن هذا السر

غامض عن الدعاة إلى الله تعالى، لعلمهم أن كل إنسان أهل لأن يحظى بمنازل القرب ويفوز بشراب الحب، فهم يعممون الدعوة بالأمر الربانى ﴿لِيَمِيزَ اللَّهُ الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ﴾ الأنفال ٣٧، فأهل الاختصاص يسارعون إلى مغفرة من ربهم وجنات عرضها السماوات والأرض، وهم السابقون بحكم السابقة الذين سمعوا المنادى للإيمان في قلوبهم، فأمنت قلوبهم ونطقت ألسنتهم، ولم يكن ذلك إلا بما جعله الله لهم من النور الذى به شهدوا اليقين الحق بالمؤمن به، وهم الذين يكون الله سبحانه ورسوله ﷺ أحب إليهم مما سواهما من النفس والنفيس الدنيوى والأخروى، وهم أهل المكاشفات والإشراف على الملأ الأعلى بسر هذا النور المجعول لهم. وهم طبقات، فمنهم أهل حق اليقين وعين اليقين وعلم اليقين، وما دون ذلك فليسوا برجال. ومن شم طيب علم اليقين أنس بأحوال كل رتبة وسلم كل فريق، وأهل الإنكار هم أهل الريب الواقفين عند حظوظهم. ولا ينال مقام إلا بفضل الله، ومن وفق للتسليم ولم يشغله حظ ولا هوى ولا شح فاز بمقام المقربين بحسن الاتباع لسيد المرسلين.

سر الخلافة رمز كنز عبودتى
غيب عن الإدراك سر غامض
سر الخلافة رمز كنز تنزلى
سر الوجود جميعه بدءاً ولن
والفرد فى نور الخلافة كوكب
تاج الخلافة باجتلا الأوصاف فى
أسرار غيب من قدير منعم
بل نور سبحات تشير إلى البها
فيه أنا تنبى بما يجلى لها
تمحى بها الأعداد فى حال الصفا
فيها الوجود الحق سر الاجتلا
تفنى أنا لما أنا منه به
عين لقد محت الظلال بنورها
لى أشرقت وأنا بها فيها لها

لم يدركن إلا لدى عندتى
وهو المقام لدى ضيا أحدية
من فوق عال من صفا ملكيتى
تجلى معانيه لأهل معيتى
درى معنى الوصف يغشى سدرتى
مرآة فرد فى ضيا فردية
بل نور وجه لاح لى فى وجهتى
بل برزخ استجلاء غيب هويتى
من كثرة فى وحدة
فيها الوفاء لمن دعى بخليفتى
بل والشهود الحق محو الكثرة
تجلى لعين سريرتى
حتى تجلت فى معالم صورتى
حققت ثمة غيبتى

معنى الظهور تجمل في مظهر
سكرى بخمر منه في أبيض لى
فى كل أطوارى ظهورى مظهر
ملى كمال الذات كعبة وجهتى
لى أشرفت أزلاً ولاحت خاتماً
فيه أرانى بل وفى يرى لمن
لم أبرزن كشفاً وصوبى وجهة
أألوح فى ونوره لى مشرق
صرت المراد فلا أريد ولا أنا
غيب إشارتى تلوح لمفرد
قد ناولته يد العناية خمرة

وهو الخلافة ذق ظهور النشوة
قبلاً سقاه الله حال محبتى
للعالمين ولى ضيا عندى
والمحو بعد القرب ثمة بغيتى
صرت المثال مجملاً بحقيقتى
منه به لى فى على المرتبة
أخفى رسومى بعد حفظ الرتبة
وهو الجلى بدا لعين بصيرتى؟!
وهو المرید هوالمجيب لدعوتى
ذاق الطهور بحضرة صمدية
قدسية من بدء أول نشأتى

القلوب والأرواح

للقلوب آذان ولكنها لا تسمع إلا من ألسنة القلوب، ولها أعين ولكنها لا تبصر إلا من ظهور الغيوب، وللأرواح عيون ولكنها لا تبصر إلا بالبصير إذا سعدت بموالاتة العليم الخبير، ومن أبصر بعيون القلوب شهد الآيات، ومن أبصر بعيون الأرواح شهد التجليات، ومن كان الحق سمعه وبصره، شهد ما لا يبين بعبارة ولا إشارة، وهنا تسجد الأرواح، فكيف يكون حال الأشباح؟! سواطع أنوار تخطف الأبصار، وتكشف البصائر حتى يسمع بالسميع ويبصر بالبصير.

وإنما يرى الحق الحق إذا نفذ من محيط الخلق ﴿وَاللَّهُ مِنْ وَرَائِهِمْ مُحِيطٌ﴾ بَلْ هُوَ قَرَّانٌ
مَّجِيدٌ ﴿فِي لَوْحٍ مَّحْفُوظٍ﴾ البروج ٢٠-٢٢.

نور القلب

إذا أشرق القلب بما يجعل الله فيه من النور، اتصل نور القلب بنور مقلب القلوب، فأشهد الغيوب، ففكت له رموز تلك الكنوز، فاطمأن القلب بذكر الله، وفر إليه سبحانه مما

سواه، قال تعالى: ﴿وَمَنْ لَمْ يَجْعَلِ اللَّهُ لَهُ نُورًا فَمَا لَهُ مِنْ نُورٍ﴾ النور ٤٠.

النور المشرق على القلوب إما نور بيان للحقائق بلسان العارف، أو نور تبيان للآيات في المكونات مما يعجز عنه الوصف، أو نور عيان للغيب المصون مما يجذب الأرواح إلى حضرة الفتح، حتى يكون العبد كله نوراً: ﴿قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُبِينٌ﴾ المائدة ١٥.

ومتى صار العبد نوراً، والنور إنما يقصد منه البيان، كان العبد كله بياناً، قوله وحاله وعمله، وإنما تشهد هذه الأنوار عيون النفوس إذا زكت، وأبصار العقول إذا سلمت من الحظ والهوى، وأحداق الحس إذا تطهرت الجوارح.

عمارة القلوب وعمارة الجيوب

بين عمارة القلوب وعمارة الجيوب بون شاسع، بعمارة القلوب تشرق أنوار الغيوب، فتستبين حكمة الحكيم ومراد المرید العليم، وعمارة الجيوب تظهر الأحكام، ويكثر اللغوب ويقل الأدب ويكثر الطلب، وإنما يصح الوصال بالأدب ولو مع قليل الطلب، وإنما تعمر القلوب بالعرفان، والمعرفة فوق العلم، وعمارة الجيوب تعلم الأحكام، وشتان بين من علم حكمة حكم واحد فتفقهه، وبين علم جميع الأحكام وحاله لم يصدقها.

صفاء القلب

قال عليه السلام: (دَعَّ مَا يَرِيْبِكَ إِلَى مَا لَا يَرِيْبُكَ).

إذا صفا القلب من ظلمات المحظوظ والأهواء، وتطهر من داعيات النسبة الإبلسية بالوقوف عند آداب الشرع الشريف، والرياضة التي رغب فيها خلقاً وعملاً وعلماً، ينتور قلبه بنور اليقين الحق ويستبين له منار الهدى في كل شيء، حتى لو خفى حكم شرعى في عمل ما من الأعمال، وهمّ بعمله يظهر له فيه نور يطمئن به قلبه وينشرح له صدره، فيقدم على عمله مطمئناً، أو ينزعج منه قلبه ويرتاب من عمله ولا ينشط له، وذلك لأن هذا القلب يتلقى من الحق، فينشرح لكل حق وينقبض لكل باطل، وهو القلب الذي أمرنا رسول الله عليه السلام أن نستفتيه عند حصول الشبهة في عمل ما، وفيه النور الذي أخبر الله عنه بقوله تعالى: ﴿وَمَنْ

لَمْ يَجْعَلِ اللَّهُ لَهُ نُورًا فَمَا لَهُ مِنْ نُورٍ ﴿التور ٤٠﴾، ولا يفاض هذا النور إلا بمحض الفضل الإلهي على قلب وفق للمحافظة على الشرع وأعانه الله تعالى على القيام بفضائل الأعمال ﴿ذَلِكَ هُدَى اللَّهِ يَهْدِي بِهِ مَنْ يَشَاءُ﴾ الأنعام ٨٨، ﴿مَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِي﴾ الأعراف ١٧٨، نسأل الله سبحانه وتعالى أن يمنحنا نوراً نسير به في الناس، وأن يحفظنا من الميل عن سنة المصطفى ﷺ، آمين.

هي القلوب ترى نور الصفا العالى	تفر لله في قول وفي حال
هي القلوب صفت لله فاتصلت	رأت جمال جميل منعم عال
والجسم من غير قلب كالبهيمة بل	أضل منها وفي صد وإضلال
القلب بيت لمولاه خزانته	فيه الحقائق أنوار لإيصال
يجلى له الغيب في جهر وفي سر	في البر والبحر في جذب وإقبال
القلب عرش استوا الرحمن ظاهره	شرع وباطنه غيب بأمثال
في القلب نفخته والقلب صورته	معمر بالبهما في كل الأحوال
القلب يشهد هذا البحر مظهر من	أولاه للخلق في حل وترحال
البحر سبوح مولاه بألسنة	والرمل سبوحه بالحال والقال
هذا الغمام عطايا الله سخرها	تولى لكل فتى بالقول سأل
فضلاً من الله فيه القوت يمنحه	للجاحدين وللدانى وللعالى
سبحان منشئه سبحان مبدعه	بالفضل يعطيهمو خيرات آمال
يا من ظهرت ببحر والرمال ويا	من يمنح الخير للعافين أمثالى
واجه بوجهك آنسنا وقربنا	حتى ننال الرضا في ظل آصال
فيما تحب أقمننا مقبلين على	حظيرة القدس في روضات أبدال
من السقام اشفنا اعط القبول لنا	حتى نرى المصطفى في نوره العالى
احى بنا شرعه جدد بنا المعنى	لنشهد الغيب في تفصيل إجمال

غذاء الروح

فاقد الأب " الروح " فهي اليتيمة التي لا أب لها، وإنما نفخت فيك لتتنفك بغذائها، وإنما غذاؤها تفريد الله تعالى بالقصد بعد تحققك بتوحيد الاتحاد، وبعد مطالعة الحد، والإيمان بظاهر القرآن وشهود باطنه.

هي الروح تستجلي بها الأوصاف وهيكل ذاتي ثوبها ساتر هي الروح سر الغيب صورة ربها يجربها عن أن تسوح إلى البها يلوح لها من نفخة القدس ساطع هي الروح مصباح وقلبي زجاجة إذا نور المشكاة في زجاجة وما كنت لولا الروح إلا عناصراً فتسكر روحى من مدام طهوره أنا من لديها غيب غيب مجمل تضئ بي الأوصاف للعاشق الذى يطوف حوالى كعبة الذات واجداً ولى فى الصفا حال على إذا انجلى

يفاض عليها النور والألطف لها ولوح به قد يشهد العراف وجسمى هو المعراج أو خلاف به تمنح الإقبال والإشراف فتشهد غيباً بينت أعراف وهيكل المشكاة والإسعاف لديها فخوفى رهبتى إنصاف تدار لدى صفوى على سلاف ويعجز عن درك الحقيقة عراف جمالى نور الغيب بل أوصاف قد فر للمحبوب صح طواف وكل سوى المحبوب ثم يعاف لأهل الصفا نيلت له الألفاف



الفصل الثالث

شروق عجائب القدرة وغرائب الحكمة

حقيقة السمع والبصر

إنما يوصف بالسمع والبصر والنطق " الحى " ، ولا حياة لمن لا يُبصر الآيات، ويسمع تسبيح الكائنات، ويتكلم مع سكان السماوات، قال تعالى: ﴿أَفَأَنْتَ تُسْمِعُ الصُّمَّ﴾ يونس ٤٢، وقال تعالى: ﴿أَمْ تَحْسَبُ أَنْ أَكْثَرُهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ﴾ الفرقان ٤٤ .

ولكل رتبة من الكائنات حياة بقدر منزلتها، فلنبات حياة وللحيوان حياة، وهى بالنسبة لحياة الإنسان الكامل " موت " .

أعمى من لم يشهد ما فى الآفاق وما فى نفسه وإن أبصر كل شئ، وليس من نظر السماوات والأرض بذى نظر، قال تعالى: ﴿قُلْ أَنْظُرُوا مَاذَا فى السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ يونس ١٠١ .

فإن أجرام السماوات والأرض يراها أحس الحيوانات رتبة، وإنما يتميز الإنسان بما يراه فيها من آيات الله وأسرار الحكمة.

الأسباب معارج ومدارج

لا تناسب بين الحضرة الكائنة والحضرة الواجبة، والحضرتان متصلتان كمال الاتصال، ومنفصلتان تمام الانفصال.

فلولا الله ما كان كائن، هذا وجه الاتصال.

أما كمال الانفصال، فحضرة الرب بجميع أسائها التفصيلية لها الفوقية المطلقة على حضرة الكون بجميع معانيه الدنية، والانفصال بهذا المعنى هو وصل الاتحاد، وإلا الفصل بالمعنى السابق هو حق الوصال، وهنا أخفى وأظهر فى قوله: ﴿أَبْصِرْ بِهِ وَأَسْمِعْ﴾ الكهف ٢٦، فأخفى الحقيقة فى نفسها، وأظهر التأويل المناسب لقوى العقول والأفهام، حتى ينال كل ذى شأن قسط من هذا الرحيق المختوم، ليس من جملة بـ " كن " سمعه وبصره فسمع به

وبصر، ثم أسمع به وأبصر به، كمن جاهد حتى عرف نفسه، ولا كمن جذب حتى وقعت العين على العين، ولا كمن شغلته الجنة ونعيمها وأخافته النار وهيبها، فكيف بمن عقل؟!

أسمع به كن له السامع أبصر به كن له اللواعم
أسمعن منك كل ما فيك جهراً أبصرن غيبه لكل الطواعم
كن به ظاهراً وفيه بطوناً منه قد كنت من إرادة نافع
وى عجيب ﴿أَبْصِرْ بِهِ﴾ إن تدبر لفحوى الخطاب فالفقه رافع
يرفع الله من يشاء ابتداء فاسألنه فالله معط واسع

الواردات الروحانية

ورد على الروح وارد الفتوح فأنست وطابت، ولداعيه أجابت وحتت لذكراه ولعبير رياه، فذكرها عهد التجريد بنور التوحيد. ودعاها لمسراها قائلاً:

أيها النور والجمال البديع والجلى الخفى بباد منيع
أفق أعلى وحضرة القرب روض كل أصل مجمل ورفيع
دار مجد تشتهاقها كل روح وإليها يسعى الهمام السريع
آية المحسن في بهاها تجلت بجمال والوقت فيها ربيع
أيها الروح تألفين ربوعاً دارسات تفنى وهذا شنيع

فالمت إليه الروح مطمئنة، وهي في أفق هذا الهيكل لحكمة مستكنة، ورأت مبناه وفهمت معناه ولبت نداءه وأجابت قائلة وكانت كاملة:

أنا في الأفق أفق حق مبين مظهر الوصف في المقام الأمين
أفق أعلى الذى تشير إليه أفق آياته لعين الجنين
أنا في ﴿نُونٍ﴾ سدرة قد تجلت بجمال الصفات بالتعيين
أيها الوادى الذى قد أتانى من لدى روضة الشهود اليمينى
رتبة السابقين أفقى جهاراً ومقام التقويد لا يفنى

أنا في هيكل كشمس أضاءت
أنا فيه وكلنا بيت مجد
أى قدس تتلى بهيكل ذاتى
إذ حيانى بالقرب منه حبيبي
فبدا مظهر العلى المعين
لعلى معظم ومتين
بعد محوى به لدى تمكينى
مقعد الصدق منزلى وحصونى

طهارة الباطن

قال تعالى: ﴿وَيَا بَنِي آدَمَ فَطَّهِّرُوا﴾ اللثمة.

طهارتها من حيث السلوك بالإخلاص، والتبرى من الحول والطول والقوة، ومن حيث الحب بالاستغراق فى المحبوب عما سواه، والغيبة به عن كل ما نراه، ومن حيث الجذب، فناء بوجوده، ودوام شهوده بشهوده.

حنينك يا روحى إلا الملاء الأعلى
تحنين من أزل ولم أك عنده
إلى من حنين الروح وهى به له
دعيني فتحنانى وشوقى ولو عتى
إذا كنت أنت الروح نفخة قدسه
وشوقك شوق لاجتلاء صفاته
وشوقى ولا عجب إلى حضرة الصفا
وكيف يتوق الطين للقرب والصفاء؟!
يدوم حنينى للمراتب كلها
وهذا حنينى ما حنينك والجوى
فكيف وصلصال طين بدايتى
نفذت من الملكوت للقدس والصفاء
تحنين بعد شهود وجه منزه
وشوقى فى أن أشهد الحسن لى يتجلى
بشئى وكانت آية القدس قد تتلى
ومن أزل قد شاهدته ولا ظلا
إلى البدء كالنيران فيها الفتى يصلى
تحنين ما بالى عن القرب أتسلى
تلوح بمرآة أناهى قد تجلى
وبدئى صلصال أتوق إلى المولى
وكيف اتحادى والجميل قد جلا
ولا صبر لى حتى أرى الحق يتجلى
ومنه لقد أنشئت وصلا ولا فصلا
وقد صاغنى بيديه مثلا له أعلى
ولم أنفذ من ملكه وأرى السفلا
واسكن للسفل المقيد لى كلا

وإنى على الله فى البدء قد صلى
فدم يا غرامى لست بالخلد أتسلى
وإلا فإنى للحقيقة أتحلى
و ﴿ذَلِكَ خَيْرٌ﴾ آية الذكر قد تتلى
ليسمعنا الأمر المقدس يتجلى
ترقى بها حتى ﴿دَنَا﴾ حضرة المولى
وكنز، وأنت الدر للحق يتدلى
من الله من أعطى الجمال به فضلا
بفضل وإحسان من الله لى يولى
وأرقى إلى وطنى إلى المنزل الأعلى
معية خير الرسل فى الفتح قد تتلى
وأحيا بحى والعواطف لى تجلى
ولا قصد لى إلا هو والفرد بى أولى
لدى الاتحاد الحق بالحال قد يتلى
ويسكر من فى القرب للذات قد صلى
علواً لقدر الغيب أن يتضح قولاً
وأنت من الصلصال والروح من أعلى
تدق خفاء عن فتى لابس العقلا
وأسجد أملاك السما ومحاً الجهلا
ولا أبعد المبعود، ولا قرب الأهلا
وفى ﴿بِيَدَيْ﴾ الغيب لاح لنتحلى

دعيني فإنى الثوب بالصفو طهرى
على لقد صلى وصلت ملائك
ترين جميلاً أشهدنى جماله
أنا الثوب يا روحى لباس به انجلت
ثيابك طهر أمره لمراه
لأن ثياب الفرد روح عليه
وها أنا ثوب للتقى لبسة الهدى
ترقيت فى كل المراتب منة
ولى مطلب من قدرة الله خالقى
أكون بلا كون أرى الوجه حيطتى
وأنظم فى عقد المعية راقياً
أقوم بقيوم له عاملاً به
إلى أن أرانى قائماً مفرداً له
ولى مطلب يا روح عال عن النهى
يجدد أرواح المرادين للوفا
عن الروح أخفيه لأنى أصونه
فعبجا منافستى فكيف تفوتنى
كمالك موقوف على لحكمة
فبى قد تجلى ظاهراً فى حقيقتى
ولولاي لم يظهر لروح ولا نهى
وفى قول ﴿أَنْبِيَهُمْ﴾ ﴿وَسَوَّيْتَهُ﴾ هدى

الفصل الرابع

معارج أهل القرب

التفكر

قال الله تعالى: ﴿اللَّهُ الَّذِي سَخَّرَ لَكُمْ الْبَحْرَ لَتَجْرِيَ الْفُلُ فِيهِ بِأَمْرِهِ وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ وَلِعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ وَسَخَّرَ لَكُمْ مَّا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مِنْهُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿الجانبية ١٢-١٣.﴾

وقال عليه السلام: (تفكروا في آلاء الله ولا تفكروا في ذات الله). وقال الإمام الحسن البصرى: (ما زال أهل العلم يعودون بالتذكر على التفكر، وبالتفكر على التذكر، ويناطقون القلوب حتى نطقت).

التفكر أن يُزج بالبصيرة في روض الآيات لتنفذ من حيطة الكائنات إلى أفق مبین البيّنات طمعاً في نيل البغية، والبغية أولاً: البحث عن عين التوحيد بفتق رتق الكائنات وانبلاج جلي الآيات، ثانياً: المسارعة في غرائب بدائع الصنع، ثالثاً: إقبال بالكلية في كشف أسرار الأعمال والأحوال.

فأما البغية الأولى وهي البحث عن عين التوحيد، فهي الانغماس في أحوال التوحيد واقتحام فدائد المحود. ولا انتشار من تلك الأحوال ولا نجاة من ظلمات هذا التيه إلا بالاعتصام بالله تعالى، الذي يتفضل سبحانه على السالك بنور الكشف، ويمن عليه بالتمسك بالكتاب والسنة عملاً وحالاً واعتقاداً.

أما المسارعة في غرائب بدائع الصنع فهي الطهور الذي أشار الله تعالى إليه بقوله ﴿أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً﴾ على القلوب ﴿فَسَالَتْ أَوْدِيَةً﴾ القلوب ﴿بِقَدَرِهَا فَاحْتَمَلَ السَّيْلُ﴾ من البشرية ومقتضياتها ﴿زَبَدًا رَابِيًا وَمِمَّا يُوقِدُونَ عَلَيْهِ فِي النَّارِ﴾ وهي صورة العلم الذي ينقش على جوهر النفس بعد تزكيتها بالمجاهدة التي هي كتحمل النار ﴿أَبْتِغَاءَ حِلْيَةٍ﴾ وهي البغية التي هي الحكمة ﴿أَوْ مَتَاعٍ زَبَدٌ مِثْلَهُ﴾ الرعد ١٧ إلخ. ومتى نزل هذا السيل من سماء الفضل وأفق أعلى

التنزيلات الإلهية، تفجرت القلوب بينابيع الحكمة وأنوار المعرفة.

وأما الإقبال بالكلية لكشف الأسرار، فهو البراق الذى ينتقل به السالك فى سبيل الحقيقة، ومن أشهده الله تعالى عجز قوة عقله، وتحقق باليأس عن إدراك الغاية، وعصمه سبحانه وتعالى بالرهبة من عزته، وجمله بالتعظيم لجلاله، فقد تفضل عليه بالبغية الأولى، وأشهده عين التوحيد، ومنحه سبحانه منه المزيد. وإنما يتحقق بكشف بدائع الصنع بيهجة النفس بما يلوح لها من حقائق المنن وتلبية لمقتضيات الإشارات، وبنيل الحرية من رق إتيان الشهوات. وإنما يفوز بكشف أسرار الأعمال والأحوال إذا عمل بالعلم مشاهداً حال العمل نور قيوم قادر، معتبراً بمواقع العبر.

التذكر

قال الله تعالى: ﴿يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ﴾ البقرة ٢٦٩، وقال ﷺ: (أحبوا الله لما يغذوكم به من النعم، وأحبونى لحب الله، وأحبوا آل بيتى لحبى) ويقول الناس فى مثل (اذكر غائباً تره).

والتذكر مواجهة السر لصورة المعلوم المنتقش على جوهر النفس بعلم اليقين. والبعد بين إعراض وعمى وغفلة. فبالإنابة يزول عنه الإعراض، وبالتفكر يزول عنه العمى فيمكنه أن يبصر، وبالتذكر تزول عنه الغفلة، ولهذا فإننا عرفنا التفكير أنه بحث، وينبغى أن يكون قبل التذكر لأن التذكر وجود، والمفكر إنما يفكر فيما لا يشهده أو ما لا يعلمه، والمتذكر إنما يتذكر ما شهد أو ما علم ونسى فيكون التذكر وجوداً. ومتى أنس المرید من نفسه بانقداح الخوف والرجاء فى قلبه بسماع العظة، فتحرك للعمل مسارعة لاتقاء الغضب أو العذاب، ورغبة فى نيل الخير الموعود به، والعظة تكون بالسمع والبصر.

أما العظة بالسمع فبتلقى الوصايا والنصائح والإرشادات من بيان الأمر والنهى سماعاً من الرسل عليهم الصلاة والسلام، أو من الأئمة الهداة.

والعظة بالبصر ما يراه الإنسان من تصريف القضاء والقدر فى غيره، وتغيير الأحوال مما تقشعر له الجلود وتلين له القلوب، وذاق حلاوة الاستحضار والاستبصار بالعبرة، وتجلت له

المعانى التى تصورها بالتفكر من الآيات والعبر، فإن النفس تزكو بها وتتحدى بالحضور، فتقوى العزيمة على المسارعة بقدر ما واجهه من أنوار الاستحضار، وأكرمه الله بنيل ثمرة الفكرة التى تبتهج بها النفس وتفرح بها، فسارع إلى العمل بمقتضى ما أكرمه الله تعالى به، فقد أحله الله منزلة التذكر.

وعندما يتحقق السالك بحقيقة الافتقار، غض البصر عن نقائص المرشد وتيقن صدق الوعد والوعيد، فقد صار من أهل العظة. وإذا منح الله السالك روحاً يحيا بها عقله وعرفه أيامه سبحانه وأعانته على الإخلاص للسلامة من العلل، نزل منزلة استبصار العبرة، وإن أشهده الله فناء الدنيا وبقاء تبعاتها فقصر أمله، ومنحه سبحانه وتعالى الفهم فى القرآن فمال إلى العزلة وهجر التمنى والتعلق وتقلل من الطعام والمنام، فقد تفضل عليه بدانى جنى الفكرة، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

بدء اتصالى تفكير وتذكاز	حتى اختفت بجلى النور آثار
بدء به سر عودى للجميل وكم	لاحت لروحي فى التقريب أسرار
بدئى به أولاً نور يضى بلا	شوب ولم يمسن زيتى به نار
قبل التطور كان الصفو منزلتى	وكم بدا قبل محو البين أطوار
سر التنزل رفعى عن منازلتى	فى القدس سرى فلا تبديه أختيار
حتى ظهرت بمعنى سرها عجب	غيب عن العقل وهى الطين فخار
يجلى لأهل الصفا فى حال صفوهمو	نوراً به تمنحى شمس وأقمار

الوسعة الإلهية

﴿وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾ البقرة ٢٤٧.

إنما تكون الوسعة من الله لعبيده بقدر ما منحهم من وسعة قلوبهم لعباده ﴿وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾. ومتى أحب الله العبد منحه الوسعة، وخير الوسعة أن يُخلقه بأخلاقه، ويتفضل عليه بجمال الرضا عنه، فيرضى العبد عن ربه بعد رضاء ربه عنه، وهو سر التحقق بالعبودة بعد

العبودية والعبادة ﴿مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُمْ مَّنْ قَضَىٰ نَحْبَهُ وَمِنْهُمْ مَّنْ يَنْتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلًا﴾ الأحزاب ٢٣.

إنما تشغل الآثار من حجب عن الأنوار، وإنما يشتغل بالأكوان من لم يذق جرعة من صافي الأسرار، وإنما يقف عند الجنات من وقفت همته عند الشهوات، والحق الأول جل جلاله أحد صمد ليس له كفواً أحد.

بعلمك ربى قد وسعت ذليلاً
وسعنى إلهى منك بالرحمة التى
وفى روض أنسى أدخلنى مجماً
لقد بين القرآن علمك سيدى
لأشهد أسرار العلوم تنيلنى
أيا رب علمنى علوماً بها أرى
أيا عالم الغيب المصون بذاته
لأعلم نفسى والعوالم كلها
لأفنى عن الأكوان علواً وسافلاً
أدر لى ظهور العلم والحب والهدى
ولا تشغلن قلبى بغيرك يسرن
ونعماك أسبغها جمالاً ونعمة

فسعنى بإحسان لأشهد إيلا
بها كل شئ لاح لى تفصيلا
لأفقه سر الغيب والتنزيلا
فبين لى مولاي ثم سبيلا
بفضلك يا مولاي منك وصولا
جمال التجلى كى أفوز مثولا
بفضلك علمنى أكون دليلا
فأشهد فيها الآى والتأويلا
وأشهد غيب الغيب منك جميلا
لأحيا بحى فى الرضا مقبولا
بمقعد صدق للعبيد نزولا
وجنات فردوس تكون مقيلا

الإصلاح قبل الصلاح

والإصلاح أنواع: إصلاح نفسك بالعلم والرياضة، وإصلاح جوراحك بالمحاسبة والمراقبة فالخوف، وإصلاح ما بينك وبين الخلق بحسب مراتبهم، ثم إصلاح ما بينك وبين المرشد، ثم إصلاح ما بينك وبين رسول الله ﷺ، وإصلاح به تكون عاملاً من عمال الله تعالى، وفى مقام الصلاح تمنح الفلاح، ومتى أفلح المؤمن بلغ كل أمانيه، ومن الأمانى المحذور مع الله فعنده فلدنه.

الاستقامة

الاستقامة خروج عن المعهود ومفارقة الرسوم والعادات، والقيام بين يدي الله تعالى على حقيقة الصدق. والاستقامة في الوقت أن تشهد قيامه، والاستقامة في الأقوال بترك الغيبة، وفي الأفعال بنفى البدعة، وفي الأعمال بنفى الفِترَة، وفي الأحوال بنفى المحبة.

والاستقامة طلب الإقامة في محاب الله ومراضيه، ولا يتحقق بها إلا من تحقق بخالص التوحيد، وتناول صافي شراب الموحدين، لأن التمكين في مقام التوحيد تتميز به الحضرتان وتنجلي به المكانتان، فيتحقق العبد برتبته الحقيقية أمام ربه البديع القادر الحكيم.

ولابد للعبيد من لبسة يلبسونها ومعان يتكاملون بها، ليتحققوا بكمال العبودية أمام السيد العظيم والولى الكبير المتعال، لأن السيد الكبير المتعال جل جلاله غنى عن الخلق أجمعين وكلهم فقراء إليه، فهو تنزه وتعالى لا يجانسهم ولا يشاكلهم ولا يمازجهم، لأنه سبحانه وتعالى لا جنس له فيتجنس به، ولا شكل له فيتشكل به، ولا تتصوره العقول ولا تتخيله الأفكار، ولا تحوم حول قدس عزته وجبروته العقول والأوهام، ظهرت معانى صفاته في أحكام ما أمر لأنه الأمر القادر، ونهى لأنه الحكيم القاهر، وكلف لأنه الملك القوى، ويين سبله إقامة لحجته على عباده، وهو القاهر فوق عباده، يريد الشئ إرادة تكوين فيقدره سبحانه وتعالى، وينهى عنه ابتلاء منه وهو المبلى جل جلاله، ويحب الشئ ويأمر به ولا يقدره سبحانه على من لم يشأ أن يهديه، وهو العزيز المنتقم لا حجة لعبد عليه، لأنه المَلِك المتصرف في ملكه بما شاء، ولا ظلم ينسب إليه سبحانه لأنه خلق من يشاء لما شاء، ووفق من شاء لما شاء، قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُضِلُّ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَنْ أَنْابَ﴾ الرعد ٢٧.

فلا العلم بخالص التوحيد يجعل العبد مهملاً، لأن العليم بخالص التوحيد هو الحكيم القادر الناهى، ولا اليقين بحقيقة التقدير يجعل العبد حجة عليه جل جلاله إذا نسب الله تعالى القبيح إلى العبد وعاقبه عليه، لأنه جل جلاله أرسل الرسل بالبينات وصدقهم فيما جاءوا به من قبله بالمعجزات، حتى ثبت للخلق أجمعين أن أحداً لا يعمل هذا العمل إلا رب العالمين، ولا يجريه إظهاراً إلا على يد صادق أمين، إذ لو كانوا كاذبين فيما جاءوا به لما صدقهم سبحانه بالمعجزة المخارقة للعادة، وهب لعباده العقول التى تميز بين المعجزة

والكهانة، حتى قامت الحجّة القاصمة أن غير المستقيم ولى الشيطان الرجيم، ولو بلغ من العلم نهايته ومن الكشف غايته، لأن العلم يجري مجراه والحكم يجب العمل بمقتضاه، فلا العالم مهما بلغ تكون له الحجّة على الله، وعالم لا يخشى الله هو الجاهل حقاً، قال تعالى: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾ فاطر ٢٧.

والاستقامة مراد الله تعالى المحبوب لحضرتة العلية، والسير بسير العلم المطلوب للعبد، وشتان بين مراد الله تعالى من العبد ومراد العبد من نفسه، فالعبد يطلب الكرامة والله سبحانه وتعالى يطلب الاستقامة. ومن قدم مراده على مراد ربه كان جاهلاً عند العلماء بالله وإن ظن أنه عالم، قال الله تعالى: ﴿قُلْ إِنْ أَلْهَدَىٰ هُدَىٰ اللَّهِ أَنْ يُؤْتَىٰ أَحَدٌ مِّثْلَ مَا أُوتِيْتُمْ أَوْ يُحَاجُّوكُمْ عِنْدَ رَبِّكُمْ قُلْ إِنْ أَلْفَضَلَّ بِيَدِ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾ يَحْتَصُّ بِرَحْمَتِهِ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ ﴿ آل عمران ٧٣-٧٤.

والسعيد حقاً من سبقت له الحسنى فوفقه للاستقامة وأعانه، والمحجوب حقاً من ظن أنه يحسن عملاً فطلب الكرامة، قال تعالى: ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ الزمر ٩.

والعالم حقاً من هجم به علمه على عين اليقين فانتشله الله من أحوال التوحيد فكان حاله في مزيد، قال ﷺ: (من لم يكن في زيادة فهو في نقصان، ومن كان في نقصان فالنار أولى به) وقال الله تعالى لرسوله ﷺ: ﴿وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا﴾ طه ١١٤، وعلم يمحو الآثار والآيات عندنا هو علم الأطفال، فمن لم يكن في مزيد من العلم حتى يثبت ما أثبتته الله ويسارع إلى مرضاته ومحابه فهو في جهل، قال تعالى: ﴿وَمَا أُوْتِيْتُمْ مِّنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا﴾ الإسراء ٨٥.

فيجب علينا أن نسارع إلى الاستقامة عملاً بعلم الله وإن جهلنا الحكمة، فإننا نحن مكلفون لنطيع الأمر فقهننا الحكمة أو جهلناها، وكل علم ينتج شهوداً يخالف الاستقامة هو جهالة وضلالة، وكيف لا يكون كذلك وصاحبه يحكم بعلمه على علم ربه، ويخالف بشهوده حكم ربه جل جلاله وهو الخسران المبين، إلا من صال عليه الحق صولة فسلب منه ما وهب ولديها يسقط عنه ما أوجب، وهم الموتى وإن كانت أجسامهم تتحرك، الذين اقتطعتهم المحبة من غير سكينه، فصيرتهم أرواحاً بلا أشباح، لا يتألمون بما يتألم منه الناس، ولا يتلذذون بما يتلذذ الناس به، وهم أهل الاصطلام بمشاهدة التوحيد بالتوحيد، لا يشهدون

لأنفسهم وجوداً، فكيف يشهدون مقتضيات الوجود!

تجلت لهم الأسماء والصفات فحجبت أنوارها الكائنات، فغابوا عن أنفسهم بمنفسهم، وعن مقتضيات قلوبهم بمقلبيها، وليست دعوى يدعيها السالك ولا تكلفاً يتكلفه مريد الحق، وإنما هي حال قاهرة عن سجية صادقة بعد تزكية النفوس وشوقها إلى القريب القدوس، وليس هؤلاء أئمة للمتقين ولا هداة للأمة، لأن القوة التي بها التكليف سُلبت، والحقيقة التي بها التعريف قويت، خرست ألسنتهم لاستغراقهم في شهود الواحد، وُصمت آذانهم عن غيره، وحجبت أبصارهم عن سواه، سر قوله تعالى: ﴿فَأَيْنَمَا تُولَّوْا فَثَمَّ وَجْهَ اللَّهِ﴾ البقرة ١١٥، وقوله تعالى: ﴿فَفَرُّوا إِلَى اللَّهِ﴾ الذاريات ٥٠، والفرار إلى الله من نفسه المستوحش من وجوده، كيف يأنس بغيره أو يرى وجوداً لسواه! فإذا رُد إلى الخلق وأنس بهم وفارقت الاستقامة، كان داعياً إلى الضلالة ناهجاً سبيل الغواية، نعوذ بالله منهم.

ومحبوب الله تعالى إذا رده إلى خلقه جملة بحُلل حبيبه ومصطفاه، وسلك به على الصراط المستقيم، صراط الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين، فكان صورة محمدية كاملة يمثله ﷺ ظاهراً وباطناً، مشكاة لمصباح أشرق زيته وصفت زجاجته، عمله السنة وقوله الحكمة، وحاله المحبة والتوكل على الله والتفويض لله، والسكر بكلام الله، والفرار إلى الله، والمسارة إلى مرضى الله ومحابه، وهو الإمام الذي يظهره الله، فترى جسمه في الأرض بين الناس وقلبه معلق بالملا الأعلى، أنفاسه ريحان ملائكة الله، وأعماله زينة الفردوس الأعلى، توحدت همومه فصارت هماً واحداً في الله، لو غاب رسول الله ﷺ عنه نفساً لعدَّ نفسه مُشركاً، وهو الفرد الذي لا تفارقه الاستقامة وإن كانت أحواله توجب الملامة، حصن الله شهوده بالسنة بحقيقة ما تفضل به عليه من المنة، خفيت إشارته لأنها من غوامض أسرار التوحيد، ووضحت عبارته لأنها بيان المبدئ المعيد، قال تعالى: ﴿الرَّحْمَنُ﴾ عَلَّمَ الْقُرْآنَ ﴿ خَلَقَ الْإِنْسَانَ ﴿ عَلَّمَهُ الْبَيَانَ ﴾ الرحمن ١-٤، عباراته شفاء للقلوب، وأحواله التنويع للنفوس، وإشارات تلويح عن الغيوب، لا يقهره حاله لأنه مقهور بقهر الحكيم القادر، محصن في حصن حكم اللطيف الخبير العليم، تجلت له صفات أهل معية رسول الله ﷺ حتى لو همت نفسه بمخالفة في صغيرة أو كبيرة، تداركته عناية الولى القريب، سر قوله تعالى: ﴿اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ ءَامَنُوا يُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ﴾ البقرة ٢٥٧، إذا أظهره الله في الوجود

فتح به عيون القلوب، وأطلق به الألسنة بالحكم وأسرار الغيوب، نوع به النفوس وزكاها وطهرها من لبسها، وبالأخلاق الطاهرة والاستقامة حلاها، سر قول رسول الله ﷺ: (العلماء سرج الدنيا ومصايح الآخرة).

يقول لسانى الله فى ذكره وهب سيدى منك استقامتنا التى يقول لسانى الله ربه موقناً لقد قلتها يا رب هبنا بشائراً ذكرنا بفضل منك وفق جميعنا أيا رب ورثنا علوم محمد وأحى بنا آثار أكمل مرسل بنا سيدى جدد معالم سادة أمتنا على الإسلام واجعل قبورنا

فإنك يا الله فى رتبتي حسي ربه فهب لى يقيناً كى يصدقه قلبى ننال بها البشرى نجمل بالحب وفى آية القرآن بشرى لذى لب بدنيا وأخرى هبنا رب بالقرب لما أنت ترضاه أيا عالم الغيب لنعطى مقامات الأوائل والصحب وأعل بنا القرآن فى الشرق والغرب لقد جاهدوا فى الله فى صولة الجذب رياض شهود يا مجيب من الرب

المناجاة

ما ألد مناجاة طالب الله حين يناجى ربه راجياً أن يرفع عن عينى قلبه الحجب المانعة حتى يشاهد نور الله، وما أقوى المناجاة عندما يناجى صفات الله التى استقرت معرفتها فى القلب، فهو لا يناجى إلا صفات الحق سبحانه وهى حريية بالاستجابة، فترتفع الحجب وتُزال الستائر وينجلي المراد لينعم العين والفؤاد.

هب لروحى الاستجابة واستجب للعبد فضلاً لى ذنوبى أثقلتنى لى يضرك رب ذنوبى عفوك العالى رجائى

كى أنال بها الإنابه أعطه ربهى متابه أطمعتنى فى الإنابه فاغفرن وامح عقابه فامنح العبد شرابه

تبت فاقبل رب توبى
قربن عبداً مسيئاً
أنت تواب كريم
جاء مضطراً ينادى
وافتحن كنز العطايا
باضطرار جاء يرجو
أعطني الحسنى ووسع
أكرم الأولاد ربى
أدرك الإسلام وانصر

اعط للعبد اقترايه
خوفه صار جوابه
فارحم العبد اضطرابه
حققن لى الاستجابة
وامح بالحسنى اغترابه
خففن رب حسابه
رب فضلك بالإنابة
أعطهم منك الإجابة
بالأئمة والصحابة

كلمات المسلم

قال الله تعالى: ﴿وَذَكَرْ فَإِنَّ الذِّكْرَى تَنْفَعُ الْمُؤْمِنِينَ﴾ الذاريات ٥٥.

تميز المسلم بكلمات أثبتت أنه إنسان كامل حقاً، منها أنه آمن بالغيب بعد سماع الحكمة من رسول الله ﷺ، وأن نفسه نفس نورانية، وغيره لم يؤمن إلا بالحس وهم العالم أجمع، ومن اعترض على باليهود أقيم عليه الحجة، فإنهم وإن كانوا آمنوا بالغيب بعد بيان الكليم عليه الصلاة والسلام إلا أنهم قالوا: ﴿أَجْعَلْ لَنَا إِلَهًا كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ﴾ الأعراف ١٣٧، عندما رأوا عباد الأصنام رجعوا لفطرتهم الأصلية، وكان العالم أجمع بين مجسم لربه يجعله من حجر أو من معدن، وبين عابد لكوكب أو عابد لإنسان يأكل ويبول ويتغوط وينام.

وقلب المسلم تنزه عن هذا النقص، حتى ولو كان من المفرطين في عمل الكبائر، فإن جوارحنا تتقلب في المعاصى، وقلوبنا معقودة على كمال التوحيد والحمد لله، ومهما ارتكبنا من المعاصى فنجنسنا جوارحنا، أشرقت أنوار التوحيد من القلوب فمحت ظلمات المعاصى، وغيرنا من العالم مهما عملت جوارحهم من أنواع الخيرات، انبعثت ظلمات العقيدة فمحت تلك الأعمال.

ومن تلك الكلمات أن الله سبحانه وتعالى حفظ فينا رسوله ﷺ، فلا يمضى زمان إلا

ويظهر الله تعالى من يجلو أسرار الكتاب والسنة وغوامض الحكمة التي لأجلها أوجد العالم، فألمه الله تعالى سر البيان وفصل الخطاب، فكان وارثاً لرسول الله، دالاً على الحق بالحق مجدداً للسنن مبيناً للمناهج.

ومن تلك الكمالات وسعة القرآن والسنة وسعة جعلت العلماء يستنبطون منها الحكم على كل ما يتجدد في الزمان، ومن تلك الكمالات حفظ الكتاب والسنة من الميل والطغيان، ومنها حفظ المسلمين من أن يقهرهم عدوهم ولو اجتمع عليهم، وليس التاريخ ببعيد، فقد اجتمعت دول أوروبا في الحروب الصليبية لمحاربة المسلمين فقهرهم الله وردهم أدلاء، ومنذ قرون طويلة وأوروبا وأمريكا يعملان على إطفاء هذا النور بانتشار المبشرين والعهارة والخمر والأفيون والحشيش والربا، وعمل القوانين المخالفة للأداب الإسلامية وتنفيذها بالقوة القاهرة على جماعة المسلمين، وإفساد القلوب بالأموال والوظائف واحتلال البلاد الإسلامية، ومحو صناعتها وآثارها الإسلامية بل وسلب تجارتها وزراعتها، كل ذلك يحصل والله سبحانه وتعالى القهار المنتقم، يحفظ حزبه ويهلك عدوه، قال سبحانه وتعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ الحجر ٩.

ومن تلك الكمالات أن المسلمين مهما تفرقوا بعوامل أعدائهم، فإنهم إذا سمعوا صيحة الدين لبوا جميعاً واستماتوا تحت كلمة الدين، لأن الله تعالى قال: ﴿وَلَنْ يَجْعَلَ اللَّهُ لِلْكَافِرِينَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ سَبِيلًا﴾ النساء ١٤١.

ومنها أن الله تعالى لا يعم المسلمين بسنة جدباً، فإن شاء الله تعالى أن يجبس الغيث عن جماعة المسلمين هطل عند جماعات في الأقطار الأخرى.

ومن تلك الكمالات وأفضلها وأكملها مراقبة الله تعالى في الشدة والقوة، بخلاف بقية الأمم، فإن المسلمين في زمان ظهورهم وتمكينهم في الأرض بالحق، أقاموا الحجة على مراقبة الله تعالى فيمن بقى من الأقليات الذين يدينون بغير الإسلام، فإنهم عاشوا بين المسلمين كأنهم منهم متمتعين بالترف والتنعم، محفوظة أموالهم وأعراضهم وأديانهم بخلاف بقية الأمم وخصوصاً من أهل الكتابين، فإن الإفرنج دخلوا أمريكا فلم يبقوا فيها أثراً من أهلها، وقد دخلوا الأندلس فمحقوا كل إنسان مسلم فيها حرقاً بالنار وإغراقاً في البحر، ولا تزال

رشاشاتهم في البلاد الإسلامية تحصد النفوس حصداً على غير ذنب إلا إنهم أصحاب الملك وأهل الوطن وقبلوا الإفرنج والأمريكيين بساحة مراقبة له تعالى ورحمة بخلقه.

وهؤلاء اليهود كل إنسان يعلم أنه لا رحمة في قلوبهم لغير دينهم، فتراهم حتى في وسط البلاد الإسلامية أو النصرانية، يكرهون مجاورة غيرهم ومعاشرته إلا في سلب الأموال واحتكار البضائع.

فالمسلمون هم حزب الله وعماله، وهم الأمناء الذين إذا مكنهم الله في الأرض رحموا عباده وأحسنوا، وإن مكن منهم صبروا وراقبوا الله تعالى، وقد آن لجماعة المسلمين أن يرجعوا إلى ما كان عليه سلفهم، ليرجع الله تعالى لهم كما كان لسلفهم، وأن يكونوا في تلك الدار الدنيا قوامين لله شهداء بالقسط ولو على أنفسهم، لنفوز إن شاء الله تعالى بالتمكين في الأرض بالحق، وبمقعد صدق بجوار رسول الله عند مليك مقتدر يوم القيامة، فإن الله تعالى قابل التوب وغافر الذنب، منحى الله وإخوانى المسلمين التوبة والإنابة والعمل بسنة رسول الله ﷺ، وجدد بنا المجد الذى كان لماضيها، إنه مجيب الدعاء.

أفردن بالقصد مولاك العلى
في المظاهر فاشهدن آيا ترى
لا تقف عند العلوم وسرها
لا تقف عند المحبة إنها
واعبد المعروف جل جلاله
فر من الكون وأزمان إلى
تلكم الآثار ألوح بها
وافن عن تلك المظاهر وارتنق
قف على ترب العبودة خاضعاً
كشف مضمون عن الأفراد عن
عمرن قلبى بمعنى الاجتلا
راح عيسى راح موسى أسكرت
تشهدن غيباً مصوناً أولى
غيبه قد لاح يجلى للولى
واطلب المعلوم منه به أخى
حجبة العاشق عن غيب بهى
إن منحت العلم والكشف السنى
حضرة الإطلاق تدعوك إلى
حضرة المعبود جل عن السمى
للصفا القدسى والغيب العلى
يطمئن القلب بالكشف الجلى
كل مشتاق إلى الراح الروى
واجذبني للشهود الأحمدي
راحنا قد طمأنت قلب الصفى

راح خير المرسلين جميعهم
 بدؤها العبد صفاء في وفا
 ما صيامى ما صلاتى ما أنا؟!
 أفردنه في الصلاة وكن له
 واخلعن حظاً به شغل بما
 واعشق الله تعالى نزهن
 ذاته قد نزهت في كنهها
 واسألن منه العبودة فوضن
 وانهجن منهاج أكمل مرسل
 تجذب الأرواح جذباً سرمدى
 ختمها عبديّة نعم الولى
 كل ذا حجب ومولانا على
 في الصيام تجاهد الداء الدوى
 يحجب الأرواح عن حب القوى
 ذاته عن الكيف كم كل شئ
 خل أساء وكن عبداً رضى
 كل أمر للمجيب وللولى
 تمنح الحب من الله العلى



الفصل الخامس

درر الإشارات في رموز العارفين

شهود الجمال وظهور الغيب

إن القلوب التى يحبها الله تعالى منحها عيوناً تشهد جماله، وتلك العيون التى منحها إياها
 تشتاقت إلى أن ترى هذا الجمال، فيتجلى الله جل جلاله لها بقدرها ثم يوسعها، فلا تزال فى
 شوق حتى تصل إليه سبحانه وتعالى، فإذا وصلت إليه جل جلاله انتقشت معانى صفاته
 عليها، فتبدلت الأرض غير الأرض (والأرض هى الهيكل الإنسانى)، والسموات غير
 السموات (وتلك السموات هى القوة الروحانية)، فبعد أن كانت شوقها إلى ربها، صار
 شوقها إلى الله تعالى، ولا ينتهى الشوق ولو كان الإنسان بمقعد صدق لأن معبوده لا يحويه
 مكان، ولو أقامه فى مقعد صدق لكان هذا المقعد حجاباً، لأن محب الله تعالى لا يأنس لغير
 ذاته، وذاته تنزهت عن أن تحد أو تعد أو توصف فيدوم شوقه إليها، ويتوالى انكشاف جماله

العلیُّ لهذا المُحب، إلى ما لا نهاية لها ولا بداية لها، فمساكين أهل المحبة هم في أنس وفي وحشة. أما أنسهم فبما ينجلي لهم من جماله العلی، وأما وحشتهم فبعد المحبوب عنهم عظمة وجلالاً، ولبعدهم دناءة وخسة، فحقيقتهم العبدية، فتشع عليهم سواطع جماله وكماله، ساطعة على أرواحهم وهم في عذاب ونعيم، عذابهم للشوق إليه، وأما النعيم فبالرضا عنهم، وهم رضى الله عنهم ورضوا عنه.

الغيب والشهود

قال تعالى: ﴿وَأَصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدْوَةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ﴾ الكهف ٢٨.

إذا سترت أنوار غيب الأسماء بالمعاني مباني الشهود أخفت ظلالها، فظهر الغيب المصون ظهوراً بمقتضى معنى الأسماء الداعية لحكمة الإقامة، فنظر القائم المغيب بعين الحكمة المقتضية لإقامته رسولاً وبشيراً وسراجاً منيراً، والمشهود من الغيب اسم محيط من أسماء الجمال كالرحمن والغفور والرحيم والتواب والحليم والعطوف، وتلك الوسعة بكل اسم منها وسعت كل شئ، فيزيد بحسب الروح الملكوتية تنزل تلك الوسعة، ليحيط بالعالم إحاطة تجعلهم متحققين بالألوهة، تحقيقاً يثبت لهم العبودة المطلقة التي لا تخرجها ظلال معاني الصفات عن التحقق بالعبودية، ولو منحوا الكلمة وما فوق الكلمة.

في هذا المقام يكون حنين صاحب المقام الأعلى، أن تحيط أسماء الجمال كل كافر نافر أو جاحد لا حد، ولكن مقام الربوبية يقتضى أن يراعى رعاية تامة، يحفظ فيها العبودية أو العبدية - إن لم ينفذ من إطار العبودية - ومن لم يقف في هذا المقام وقفة التمكين، ولا ينفذ من أقطار الربوبية إلا على الألوهة، لا شهوداً ولا وجوداً، والله تعالى يحب مقتضى ما ظهر لك، قال تعالى ﴿وَأَصْبِرْ﴾ مع أهل التمكين في التحقيق بالعبودية للربوبية، فإنهم البرزخ بين أهل البعد والقرب، وصبرك معهم يكشف لك الحجاب عن أهل البعد، فتتوسط في الإقامة معهم، فلا تتمنى لهم رحمة ولا تتعنى في طلب قبولهم في الإيمان وإقبالهم على الله تعالى: ﴿وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ﴾ عن أهل هذا المقام، لأنك في مرتبة الرسالة مكلف أن تكون بشيراً ونذيراً، فبشيراً للذين يدعون ربهم ونذيراً لأعدائهم، ونظرك إليهم بعين الوسعة والرحمة التي جعلها الله قواماً لك، لا يقتضيتها مقام الرسالة، لأن الرسالة مقامها ﴿فَمِنْهُمْ شَقِيٌّ وَسَعِيدٌ﴾ هود ١٠٥، ﴿وَلَوْ

شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ ﴿١١٨﴾ هود

الحجب والشهود

ستر المحس عن شهود الآيات أو التمتع بتلقى البيئات، لا يضر السالك إذا حصل له الشوق، وإنما عند البعد عن رياض الشهود، فإن الله جل جلاله واجه أحبابه مواجهة اتحاد، ثم حجب عنهم بهاءه وحنانه وجماله، عظمة وعلواً وعزة، فاحترقت قلوبهم شوقاً إليه، وهو معهم بأعينه العلية، مع ما هم فيه من الهيمان إليه، ولهم في كل نفس مزيد، وإنما يحصل الستر ليقوى الشوق عند المرادين، ويحترق القلب حينئذ إلى نيل ما يُقرب لرب العالمين، فيكون قريباً بنفسه إلى حضرة أنسه، قريباً بقلبه من ربه، وإن بعد جسمه وحجب حسه، وإنما يكون الشوق في الغيبة والحضور لأهل الصفا، وللنفس أوابد تدعو إليها فطرتها ودواعي قواها، فإذا شعر السالك بملل اقتضاه الجسم فليعطى للجسم حقه، أو فتور اقتضاه العقل فليشحذ بالرياضة عقله، أو ستور اقتضتها النفس فليمزق تلك الغواشي عن نفسه حتى يستريح من لبسه.

الشهود والوجود

متى جذبك به إليه فاشهد نور أولية ﴿وَقَدْ خَلَقْتِكَ مِنْ قَبْلُ وَأَمَرْتُكَ شَيْئًا﴾ مريم ٩، واجعل معنى ﴿خَلَقْتِكَ﴾ شهوداً و﴿وَأَمَرْتُكَ شَيْئًا﴾ رعاية ووجداً لا وجوداً، حتى تجمع بين التمكين في مقام اليقين والتفريد في مقام الغيب، ولديها كُن كيف شئت فإنك محفوظ، فإنه منح المشيئة لمن أثنى عليهم بقول: ﴿أُولَئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُمْ مُهْتَدُونَ﴾ الأنعام ٨٢، ومتى كنت عند ربك وهبك ما تشاء، فأحب أن تشاء ما يشاء، وتبدأ من أن تكون مريداً فتصير مراداً، لأنه هو المريد وليست لك إرادة، وبين أهل الصفا وأهل الوفا حجاب هو الشهود، فتجاوزه إلى مقام الوجود به سبحانه له جل جلاله، يكن لك معيناً ويسخر لك ما سواه ومن سواه، ومن كان الله له يتجاوز أمه، وقال: (لا إله إلا أنت، وجهك الجميل محبوبى، ورضاك وفضلك مطلوبى، لك الحمد ملء السماوات وملء الأرض وملء ما شئت من شئ بعد)، فإن العرش بما حوى وما فوقه مظاهر أسماء جمال الله، وألسنة ناطقة بعميم نعم الله وأياد متوالية بوسع فضل الله، والله يتولى الصالحين.

الراح والشراب ونفخة القدس

الراح صورة ما رسم على جوهر الروح، وهو المزيد الذى أخبر الله عنه بقوله: ﴿أُولَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ﴾ المجادلة ٢٢. وفي مقام الجمع يسمى راحاً، وفي مقام الفرق يسمى شراباً، وإنما سُمى راحاً في مقام الجمع لفناء المحتسى عن الوجود التقيدي، وفيه الإشارة إلى الروح وإلى راحة الهيكل، وفي هذا المقام قد روح المحبوب مع الذين روحوا بجواذب تلك الصورة الخفية التى رسمت على جوهر الروح، فإن الروح إذا لحظت مجانسها غابت عن مفارقتها، فحصل الاتحاد الكلى بمحبة الهجرة التى هاجرتها الروح من سجن نأيتها وسافلين بعدها، لا أقول إنه الهيكل، ولكنه الصورة التى يرسمها الحس على جوهر النفس فتكون ظلالاً على جوهر الروح.

والمدامة هى الحكمة البالغة التى تصغى إليها روح السالك عند سياحته، وقطعه (ص) ف (قاف) ودنوه من (كاف)، فإنها جبال شامخات أودت بالإنسان فى إنسانيته إلى مهاوى البعد عما يجانس الروح، والحكم للقاهر.

وفوق هذا الراح نفخة القدس وهى راح ولكنه ليس تصورياً ولا تمثلياً، ولكنه الكافور أو السلسبيل الذى يسقيه ربنا جل جلاله للبصير بالمعنى وللمقربين بالحقيقة.

أسكر نفوس القوم صافى الراح	من غير ما مزج ولا أقداح
راحاً طهوراً أسكرت أهل الصفا	فى البدء قبل الكون والأشباح
عند التجلى فى مقام تنزل	فى حضرة الزلفى لدى الفتاح
راح مقدسة تشير إلى البها	بالرمز لا التعبير والإفصاح
بدءاً سقاها الرب جل جلاله	تومى إلى المشكاة والمصباح
يا ساقى الأرواح راح جليها	بالعبد للأرواح لا الأشباح
غيبت عنى الكون بل أظهرت لى	وجه الجميل الحق بعد نواحي
وجه الجميل يلوح للفانى الذى	فضلاً تناول من طهور الراح
حتى أرى الوجه العلى مقدساً	يولى جمال عواطف الأرواح

الراح هيجنى وجدد صبوتى والذكر راح الروح فى استرواح
ياساقى الأرواح أنت حياتها قم واغتنم خير الصفا يا صاح
الحب معراج ورشف مدامتى جذب النفوس لحضرة الفتاح



التوجه والمواجهة

بين التوجه والمواجهة كما بين القلب والجسم، فالتوجه خرق العادة والمواجهة محو السور والرسم، ولديها تحلو العبادة وتطيب العبودية وتصح العبودة، وشتان بين مهاجر إلى الحبيب، وبين أنس به فى مقام قريب، كل ذلك فى حفظ المراتب وتوحيد المطالب وتفريد الصاحب، حتى يذوق حلاوة الإقبال، فيفوز بجمال القبول، ولديها فالله الصاحب، قال ﷺ: (اللهم أنت الصاحب فى السفر والحضر). وناهيك ببهجة من الله صاحبه بعد أن تأدب بصحبة العبد، وتحصن من الصد والرد، وإنما هو أدب به نيل الإرب.

المواجهة والمقابلة

المواجهة والمقابلة بينهما برزخ، المقابلة فيها قيود الأين، والمواجهة فيها محو الأين والبين ﴿فَأَيْنَمَا تُولُوْا فَفَرَّوْجَهُ اللهُ﴾ البقرة ١١٥.

المجاهدة والمواجهة

نفس فى المواجهة خير من سنة فى المجاهدة، لأنك ترى نفسك فى هو، ويكون قولك عمن أو فيمن أفاض عليك الفيض المقدس، أو فيمن أبدعك وأنشأك، وفى ذلك من التواضع فى الرمز الأدنى. ومن شهد حصون الأمن والإمداد عظم النعم فى الناس، ومن شهد حصون الأمن والإمداد فى حضرة مواجهة وجه الله العلى، شهد ما فيه مما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر.

أما المجاهدة وإن عظمت فإن النفس فى الجهاد قد تنزع للعناد، لأنك ترى من هو أقل منك أو مساويك فى ذاتك.

أيها الأخ السالك فإن كنت حاضراً فقدم المواجهة على غيرها، وإن كنت بعيداً بحالك فاحضر، وإن نسيت فاذكر تكن في أنس المشاهدة.

السمع والمواجهة

لا يصح سماع إلا بالمواجهة ما دام التجانس محفوظاً، فإن اختلفت المراتب صح السماع والمواجهة بدون أن يكون السامع متنعمًا بتحديد التلقى، فقد يكون التلقى ولا تصح المواجهة، وذلك فيما بين الله تعالى وعبده. أما بين الملائكة والأناسي، فإن مقام النبوة لا يمنع من المواجهة للأرواح العالين ورؤيتها، وأما مقام الإلهام فلا تصح فيه المواجهة لأنه نفثات في القرب، وذلك لأن هياكل الرسل عليهم الصلاة والسلام لم تلبسها ظلمات المعاصي، ولا أدران المحظوظ والأهواء، فتحجب الروح عن مواجهة الروح، فضلاً عن مواجهة الحق. ومهما يبينه أهل القرب من المواجهة والمقابلة والمنازلة والحضور، فإنها معان وجدانية تطمئن بها القلوب طمأنينة فوق طمأنينة المشاهد حساً، كما قال ﷺ: (اعبد الله كأنك تراه)، أما بالحس والجسم فهذا محظور شرعاً وفعلاً، اللهم إلا إذا فارق الإنسان تلك الحياة الدنيا، وانتقل إلى الدار الأخرى، التي لا تعريف ولا تكليف بها، فإن التعريف والتكليف إنما هما لمحجوب عن الغيب المصون، أو لمفارق لأفق النور، أما في الدار الأخرى فالحقائق جلية والأسماء مشهودة لكل حي حياة أخروية، قال تعالى مخبراً عن أهل الكفر: ﴿رَبَّنَا أَبْصَرْنَا وَسَمِعْنَا فَارْجِعْنَا﴾ السجدة ١١٢، وهذا خبر الله تعالى.

فالسالك المتحقق على يد المرشد، يُمنح المواجهة والمقابلة والمنازلة والحضور بالحالة التي بينتها لك.

وقد سُئل سيدنا على كرم الله وجهه: هل رأيت ربك؟ فقال: (أو أعبد من لم أرا!). والمراد من الرؤية ما تنتجها، وهو طمأنينة القلب طمأنينة تفوق طمأنينة من رأى وسمع وذاق ولس وشم وحس، وهي الرؤية الحقة المعتبرة عند المقربين من الله تعالى.

وهنا يجمل بنا أن نبين معنى السماع الذي هو شرط في الصحة عند علماء الرؤية، وشرط في الحضور عند الله تعالى، وعند أهل القلوب، فإن أسرارنا في مقام عين اليقين وحق اليقين، لا

تسعها الدفاتر ولا الرسائل، وإنما هي أسرار من لسان العارف إلى أذن فقلب المتلقى، يسبق نورها لفظها، فينكشف ستار الكون المحسوس عما أبدعه المبدع الحكيم في طي تلك المباني، وليس من سمع من المتمكن، كمن سمع من المتلون، كمن سمع من الحافظ، أو الراوى عن غيره من غير تعقل.

ولو أن مطلق سماع ينتج نتيجة الجذبة الكبرى، التي تحقق البين من البين، حتى تقع بها العين على العين، لما رأيت على وجه الأرض من سمع العلم، إلا وهو مأخوذ أخذة تجعله بها متمكناً في الحضرتين، عاملاً من عمال الله تعالى، وهو في تجارته وزراعته وصناعته لا يشهد فاعلاً مختاراً سوى الله تعالى، وهو قائم بشئونه أكمل مقام.

القصد واليقين

بقدر القصد يكون الوجد، وبقدر اليقين يكون التمكين، وعند تفريد القصد علماً يسهل الشهود عيناً، وإنما يفرد محبوبه بالقصد الفرد بعد بذل الجهد، وإنما كانت المجاهدة لتفريد القصد، وإلا فليس بينك وبين مقصودك الأعظم بين تحتاج بالمجاهدة إلى محوه، قال تعالى: ﴿وَلْتَبْلُوْنَكُمْ حَتَّى تَعْلَمَ الْمُجَاهِدِينَ مِنْكُمْ وَالصَّابِرِينَ وَتَبْلُوْا أَخْبَارَكُمْ﴾ محمد ٣١.

الذات مقصد فردها في الحال لا يشغلنك الحال يا فرد لها وانظر لها بعيون قلبك واجداً حتى تكون لها المراد وعندها واعكف عليها باليقين وكن على وسواه فاجعله عدوك قاتلاً ذق سر ﴿إِنَّهُمْ عَادُوْا﴾ تدر ما واستثنى ربك واحداً واحداً ترى لا يشغلنك وصفه أو حسنه الذات مقصد فردها لا غيرها فإذا صفا صوفي دنا منها بها

والحال مقصد رتبة الأبدال فالذات كعبة وجهة الكمال لا تشتغل بمراتب ومقال كن كيف شئت مجملاً بجمال قدم الخليل منزله الآمال ما قاله بتيقن وكمال فيها من الأسرار للأبطال منه القبول وتشهدن إقبالي فالكل غير يا أخى في الحال والكل أعدهاء له بمقال وبها تدلى مشرقاً كمثالي

الإفراد والتفريد

متى أفردت قصدك العليّ قصدك لأجله كل شيء، فإياك عند هذا الحال أن تلتفت، فإن من التفت لفتة افتتن، وما قصدك كل شيء للحقائق التي أنت هي اتحاداً، وإنما قصدك للأنوار التي تفضل الله بها عليك إمداداً، وما دمت موجهاً وجهك شطر قدسه اصطنعك يا أخى لنفسه، ومتى اصطنعك لنفسه واجهك بالأنوار التي تسترك عن الآيات والآثار، فشهدك العالون مشرقة فيك أنواره لائحة فيك أسراره، فاحتفظ بالإفراد لتفوز بالتفريد، ولا يلتبس الأمر عليك من خلق جديد، فإنما هو الأزل شئون يديها ولا يبتديها فرد الأبد إليه، وأقبل بكليتك عليه تكن ممن فاز بالحظوة لديه.

صحة التفريد قصد في الوصال
بين تفريدي وتوحيدي أنا
عودتى للبدء في رسمى الدنى
ستر البدء بأنوار الصفا
مشهدى في الكون والبدء جلّ
صحة التوحيد في التفريد أن
أثبت التوحيد رتبة أولى
يستر التفريد رتبتي التي
كنت في التفريد تخفى رتبتي
أظهر التوحيد لي منزلتي
لي فناء في بقاء ينجلي
رتبة التفريد وصل في الفنا
بين توحيدي وتفريدي ضيا

بعده التوحيد كشف لا انفصال
هيكل الرب وبدئى كالمآل
فيه تجلى لى الحقائق لا خيال
ظل هذا الكون حالا بعد حال
مشهدى بـ ﴿أَلَسْتُ﴾ في فحوى المقال
أشهد التفريد حجباً أو ظلال
من أنا عبد لرب متعال؟!
أظهر التوحيد معناه المثال
ظاهرى نور بـ ﴿كُنْتُ﴾ ضيا الجمال
صرت عدما في وجودى باتصالى
فيه لى ﴿نُورٌ عَلَى نُورٍ﴾ الكمال
حضرة التوحيد فصل لا انفصال
نوره في يجلى للرجال



الوجد والمعرفة

كن واجداً لا مُتكلفاً، وعارفاً لا مُتعرفاً، فإن التكليف سير والسير غير، والوجد قرينة تثبت حبه، والتعرف سلوك والعارف واصل، وبين المتعرف والعارف كما بين السلوك ومملك الملوك، فاعط لكل مقام حقه حتى يرفعك الله فوقه - أى فوق المقام - فتفوز بالرُقى وتحظى بالمنزل الصديقى، قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا﴾ العنكبوت ٦٩، وقال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا وَالَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ﴾ النحل ١٢٧، وقال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ عِنْدَ رَبِّكَ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ﴾ الأعراف ٢٠٦، وشتان يا أخى بين من هداه لسبيله ومن هو معه ومن جعله عنده.

تصورت بالعلم الحقائق في الفصل
وكنت لدى تحصيلي العلم راجياً
وما كنت أدري أنها علمى شاغل
إلى أن تجلى الوصف لى بعد حيرتى
فهاجرت من علمى بعلمى مسارعاً
فشاهدت علمى لى ألح حقائقاً
تعلمت علم الكون فى الكون آيه
وما العلم إلا رسم صورة مدرك
لأن كمال الذات فى مجد قدسها
ولكن أنوار الصفات جمالها
وهل عقل مخلوق يصور كائناً
تيقنت أن العلم حصن يحيط بى

فلم ينجل المعلوم يمنحنى وصلى
مشاهدة المعلوم أو رؤية الأصل
عن الكشف يجببنى بسور من الظل
يشير إلى المعلوم بالحال لا الفعل
إلى حضرة المعلوم ملتمساً نبلى
لها العلم رمز لم يفك لذى عقل
وما فوق تلك الآى يعلم بالنقل
وما فوق غيب الغيب لم يدركن قبلى
تعالت فلا تدري بعقل ولا نقل
لقد حير الأرواح من وسعة الطول
يمثل مجداً قد تعالى عن المثل؟!
عرفت به قدرى فجملت بالفضل



الحضور والأنس

من تحقق أن أسماء ربه كلها حسنى دام أنسه بربه، وإنما يشهد هذا الغيب المكنون بقلبه.

الحضور الذى تدعو إليه المقتضيات، يجذب إلى شهود الآيات، والحضور الذى هو بالحق للحق، هو الحضور الذى يستر معالم الخلق ﴿فَأَيْنَمَا تُولُوْا فَتَمَّرْ وَجْهَ اللَّهِ﴾ البقرة ١١٥.

الأنس حال من مقام المحبة، لا يجعل فى القلب لغير المحبوب حبة، وهو إما أنس استغراق أو أنس إطلاق، والأنس المستغرق محمول، والأنس فى مقام الإطلاق مسئول، وشتان بين محمول على نُجْب العناية ومسئول فى مقام الولاية، وللأنس دلال فى مقام الوصال، اقتضاه الأنس على بساط البساط، لأنه مجذوب العناية ومخطوف الولاية، تقليده كفر والأدب لديه شكر، والبرزخ الحاجز بين أنس الإغراق وأنس الإطلاق دقيق جداً، لا يعلمه إلا العلماء بالله.

فكن وسطاً فى الحالين، والنزم الأدب فى المقامين، واجعل بسطك التملق بين يدى البساط، وأنسك الخشوع بين يدى الظاهر، وفرحك بنيل القبول منه وإقباله عليك، وانس قرباتك بعد نسيان رغباتك، والله ولى المؤمنين.

حب الله

إذا أحبك الله آنسك على بساط منادمتة محفوظاً من البسط معه، وجملك بما يحبه، وواجهك بجماله حتى تحبه، فكان حبه لك جاذبك إلى حضرته، وحبك إياه حافظاً لك من سوء الأدب فى معيته، قد يواجهك ليجذبك إليه حال شهودك إياه، وقد يُخفى عنك حبه لك ونظره إليك ليشوقك إليه سبحانه وهو أقرب إليك منك لنفسك، وأنت فيما بين المشهدين راغب راهب حاضر غائب، مُنكسر القلب رهبة مُنشرح الصدر رغبة.

درجات المحبة

كل كوكب له أفول إلا كوكب حب الله المتوقد فى سويداء القلوب، فإنه الجاذب إلى علام الغيوب وبه الوصول.

أحوال المحبة قاهرة وهي الحجة على تحقيقها، ومن أحب هذا الجنب آمن عنه الإياب. إنما يصل إلى الحق الحق، فسارع أن تكون حقاً في مرتبتك بكمال العبدية وجمال العبودية وحسن العبادة، ولديها تكون حقاً حقاً فتتصل بالحق جل جلاله. فأحبه سبحانه ثم أحب فيه وأحب ما يجيبك فيه، فإنما المراد نيل رضاه.

أول درجات المحبة الحب للنعمة ثم للمنة، ثم لما أظهره فيك ليظهر به لك ولغيرك، ثم الحب بالفناء عن ذلك كله تفريداً للقصد وتجريداً للتوحيد من شوب التحديد والتعديد.

معاني المحبة

لفظة المحبة يستعملها الصوفية في ثلاث معان:

أولاً علامة على وجده في نيل محبوه، والميل والهوى الذى يُنسب إلى المخلوقات، وعاطفتهم على بعضهم التى لا تنطبق على الله سبحانه وهو منزه عن مثل هذه الأشياء.

ثانياً لتدل على إكرام الله وخصوصيته لمن اصطفاهم وقربهم لنيل درجة كمال الولاية، وخصهم بأنواع شتى من كراماته الربانية.

ثالثاً علامة على رضوانه تعالى بفيضه الحق على العبد لثنائه الجميل على ربه الجليل.

إن بعض الفلاسفة يقول: إن محبة الله تتعلق بالأوصاف التى وردت بها الأحاديث، مثل وجهه ويده واستوائه على العرش، الذى إذا نظرنا إلى حقيقتها من وجهة العقل لظهرت استحالتها، لو لم يثبت ذلك القرآن والسنة أنهما من صفات الله تعالى، لذلك فإننا نثبتهم ونعتقد بانتشار المحبة بكل المعانى التى شرحها الله تعالى.

وسأبين لك حقيقة هذه المسألة فأقول: إن محبة الله للعبد هى سابقة الحسنى التى قدرها له ورحمته عليه، فالمحبة هى أحد أسماء إرادته كالرضا والغضب والرحمة وهلم جرا، وإرادته هى صفة قديمة يريد بها ما شاء من أحكامه، وبالاختصار فمحبة الله للعبد هى فى بيان مزيد إكرامه له وإعطائه الجزاء الأوفى فى هذه الدنيا والآخرة، وأنه يؤمنه من العقاب ويحفظه بعيداً عن المعصية، وإكرامه بالأحوال العالية والمقامات الرفيعة، ولفت فكره عن كل ما

سوى الله. فإذا اختص الله تعالى أى إنسان بهذه الحالة، فتلك الخصوصية الصادرة عن إرادته تسمى محبة، وهذا مذهب أهل السابقة بل رأى كثير من مشايخ الصوفية، كما أن ذلك مذهب المشرعين المنتسبين إلى تلك الطائفة، وأكثر أهل السنة متمسكون بهذا الرأى أيضاً.

أما بخصوص إثبات أن محبة الله هى الثناء الذى يُعطاه الإنسان على العمل الصالح، ثناء الله تعالى كلام ليس بمخلوق. أما بخصوص إثباتهم أن محبة الله هى الإكرام، فإكرامه تعالى صار من أفعاله.

ولذلك ترى أن هذه الآراء المختلفة متقاربة لبعضها الآخر، أما محبة الإنسان لله فهى صفة تثبت نفسها فى قلب أتقياء المؤمنين فى شكل الإجلال والإعظام، حتى يجد فى إرضاء محبوبه، فيعجز حتى يصير جزعاً وقلقاً فى رغبته لرؤية الله، وبذلك لا يرتاح لأى شئ سواه، وينمو معه ذكره ويكره ذكر غيره، فيكون السكون محرماً عليه وتفر منه الراحة، فينقطع عن العادات والاجتماعات ويزهد فى هوى نفسه، ويتجه إلى سلطان المحبة ويخضع لشريعته، ويعرف الله تعالى بصفاته الكمالية، وأنه من المستحيل أن تكون محبة العبد لله مشابهة فى النوع لمحبة الخلق بعضهم لبعض، لأن الأولى هى رغبة فى إدراك ونيل المراد، وأما الثانية فهى فى القرب منه، وليسوا كمن يبحثون عن الكيفية، لأن الباحث يقف بنفسه، أما الباذل لنفسه فيقف بمحبوبه، وأصدق المحبين هم الذين يفرحون بموتهم فيه، ويصيرون متهترين لأن الشئ الحادث لا يصل إلى القديم إلا عن طريق قهرمان القديم.

فمن عرف حقيقة المحبة لا يشعر بالعقبات وتنفك عنه الأوهام.

فالمحبة إذًا على نوعين: محبة المثل للمثل، وهى رغبة تنفثها النفس الدنية التى تطلب ذات المحبوب، بمعنى النكاح، ومحبة مغاير لمحبوبه وهو من يطلب أن يكون متحدًا بصفة من صفات محبوبه، ألا وهى السمع بلا كلام والنظر بلا عين، والمؤمنون أهل المحبة على نوعين: قوم اعتبروا نِعَمَ الله وإكرامه الواصل إليهم، وانقادوا بهذا الاعتبار إلى محبة الكريم، ثم من غلبوا بالمحبة، وهؤلاء يعتبرون كل الكرامات حجاب بينهم وبين الله، وينظرهم إلى الكريم يرجعون إلى اعتبار النعم، وأهل هذه الطريقة أرقى من الأولى.

فيها رأت روحى الجميل وجودا
نوراً يرى فى الكائنات جديدا
وأرى النفوس جمالة تأييدا
فأحبه وأحب فيه مريدا
فى عهد يوم ﴿أَلَسْتُ﴾ ثم معيدا
ما قد رآته من الجمال رشيدا
حب لجمع قلوبنا تأكيدا
ونحب من نعطى به المقصودا
من جاءنا بالنور يعطى الجودا
عظمى قرآن الله ليس جديدا
أولاه ربك ظله الممدودا
لما تجلى ربها مشهودا
وعدوك الممقوت صار بعيدا
منا القلوب جماله توحيدا
أفراد جئت مؤيدا وفريدا
لـلولاك لم نجذب إليك ورودا
والقلب قد عمرته تجديدا
كـيما نرى الرب العلى ودودا
نحيا به فنرى الولى رشيدا

أهل المحبة من ﴿أَلَسْتُ﴾ شهوداً
نمت المحبة وانجلت لى شمسها
الحب من بدء تجلى ربنا
من عهد يوم ﴿أَلَسْتُ﴾ شوقى قد نما
الحب جذبة ربنا بظهوره
لما رآته نفوسنا هامت إلى
والحب فى ذا الكون لله العلى
فنحب من جمع القلوب على الهدى
لله جل جلاله للمصطفى
يا خير خلق الله جئت بنعمة
جملت أنفسنا بنور مشرق
عشق القلوب لربها من بدئها
قد خصنا بالحب فيه إلهنا
لـلولاك يا خير الوجود لما رأت
يا فاتح البدء القديم وخاتم الـ
لـلولاك لم تشرق لنا شمس الهدى
زكيت أنفسنا بعلم إلهنا
يا فرد ذات الله أنت شفيعنا
يحىى الشريعة يمنح الحب الذى

الجواذب

إنما هى جواذب حب تقطع القلوب إلى علام الغيوب، وبواعث مجانسة لعالم الطهر تنزع
النفس إلى مدها، فإذا سطعت ساطعة المواجهة بعد المقابلة اختطف اختطاف الاصطناع

فتجرد مما يقتضيه هيكله من الدواعى، فصار في رسمه المحاط بسور الكون فوق الثرى، كأنه مشرف على القدس مرتفع على الملكوت مما لا يناله المجاهد إلا بعد أن يموت ﴿لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ﴾ يونس ٢٦، وإذا اصطنعه الصانع الحكيم، ارتسم على جوهر نفسه صورة المعلوم بكمال فوق ما يعلمه العالمون الراسخون الربانيون، تلك الصورة تكون معالم بين عينيه لا يغيب إذا غاب الغافلون، ولا ينسى إذا نسى من هم في سور الإنسانية لاهون، وهذا مقام فوق عين اليقين سر التمكين بعد التعيين ﴿وَمَا مِنَّا إِلَّا لَهُ مَقَامٌ مَّعْلُومٌ﴾ الصفات ١٦٤.

واصطناع أهل القرب فوق اصطناع أهل الحب، وهو قبس من اصطناع الرُّسل صلى الله عليهم وسلم، وإنما نتكلم عن الأفراد المحبوبين ﴿وَمَا يُقَلِّهَ إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَمَا يُقَلِّهَ إِلَّا ذُو حِظٍّ عَظِيمٍ﴾ فصلت ٣٥.

وللتلوين منازل قبل المقابلات يخلو فيه الجمع بعد الفرق، ويلذ فيه الفناء بعد البقاء، وطوبى لمن بلغ هذا المقام على يد المرشد، فإن السالك إذا مُنح هذا المقام بمجاهدة من غير مرشد كامل، شطح فتاه في وادى التيه ﴿قُلْ إِنَّ الْهُدَىٰ هُدَىٰ اللَّهِ﴾ آل عمران ٧٣.

فإن السالك في مقام الربوبية هُدهاه بالمرشد، حتى يتجاوز هذا المقام إلى حضرة الألوهية، لديها يكون الهدى هدى الله تعالى، ويكون رسم هذا المواجه لوحاً محفوظاً لقرآن الحقائق، ورقاً منشوراً لآيات الحكيم القادر - إن الله هو الولي - هذه الكلمة هى كنز المصطنعين وطهور المصطفين بسر ﴿فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ﴾ البقرة ١٥٢، ولديها فالمتمكن في مقام اليقين هو الذكر والمذكور والذاكر عند الرعاية، وهو العبد المذكور عند الرعاية في مقام العيان ﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ﴾ الأنعام ٩١، ولأهل المحبة بعد العيان بيان وقفت الروح فيه عند ظل السدرة لو تجاوزت لا احترقت فيه حضوراً لا غيبة، وقرباً لا حجاباً ﴿وَهُوَ اللَّهُ فِي السَّمَوَاتِ وَفِي الْأَرْضِ﴾ الأنعام ٣، وقد تجاوزت بي حدك، فالزم أدبك يا جهول، وللسالكين نشوة رغبة وخوف إطالة في السلوك، ترمى بهم إلى شهود الآيات بعد البيئات، ولحظ أنوار الملكوت بعد طهرة الناسوت، وقبس غيب من الصفات بعد ستر الجهات ﴿إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا وَالَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ﴾ النحل ١٢٨.

ولأهل مقام التوبة عند الخوف حوبة، وعند شميم الوسعة طمع تحيا به قلوبهم وتلين به

جسومهم، وهو اللبن الذي يسقيه ربك للنشاط في الأعمال. وللوارث في صفاته نفائس يتحف بها أهل المقامات العالية، فتضمحل في نظرهم الآيات، فإذا أفاقوا جُنوا، وإذا فقدوا أنوا ﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا﴾ الغنكوت ٦٩.

الجواذب ثلاث

جذبة العرفان، وجذبة المراقبة، وجذبة العيان.

أولاً جذبة العرفان مبدؤها صحبة العارف، ووسطها استغراق كلية القلب في محبته، ونهايتها دخوله في قلب العارف فينظر الله إليه.

ثانياً جذبة المراقبة فتشرق عليه معاني الصفات فتحصل له المراقبة.

ثالثاً جذبة العيان، فإذا راقب معاني الصفات أشرقت عليه معاني بدئه قبل نشأته الأولى، ولديها يزول البين عن البين وتقع العين على العين، وهي جذبة العيان.

المجذوب الوارث والمجذوب المقتطع

فإذا جُمِلَ بحُلل الوراثة نطق بالحكمة ورجع إلى الخلق وسيلة للحق بدعوة عباده إليه. وإن اقتطعته أنوار القدس غاب عن الشهود بعد إثبات الوجود الحق، ومات فأحياه الله، فكان مع الله والله معه، واقفاً على الأعراف يعرف ﴿كَلَّا بِسْمِئِهِمْ﴾ الأعراف ٤٦، وهو المجذوب المقتطع والمطلوب المنتفع، والوارثون قليلون لأنهم في مقام الاصطفاء، والمقتطعون كثيرون لأنهم في مقام الاجتباء، وشتان بين من نفعه الله ونفع به، وبين من ضاق ماعونه عن الأنوار فعمت ظاهره، فدك طوره وصعق ولم يفق.

الإقبال والقبول

المقبلون كثيرون والمقبولون قليلون، وعلامات الإقبال تفريد الحق بالقصد دون غيره، ومن لم يتمرن على التفريد في بدايته قل أن يفرد في نهايته، وفتاحة التفريد تفريد المرشد بالقصد، بأن يجعل كل شئ وسيلة، ليدخل في قلبه ليفوز بحبه.

بين أهل الصفا وأهل الوفا برزخ المجاهدة، فأهل الوفا يجاهدون أنفسهم ليتكلموا، وأهل الصفا يجاهدون أرواحهم لترحم بقية قواهم، فأهل الوفا يجاهدون العدو وأهل الصفا يجاهدون الحبيب، فالمجاهدة لا بُد منها.

إذا أقبل عليك فرغ قلبك له، فإن التفت إلى غيره أدبك فيه، واحذر أن تلتفت، ولا إلى "كُن"، فإن الحبيب غيور، وأنواره سفور، والالتفات إلى سواه غرور. أعاذنا الله بوجهه الكريم من الالتفات إلى غيره، آمين.

معارض القبول

إذا حجبت قلبه لترى آثار أنبيائه، فكُن في مقام خليله جسماً أو روحاً، ثم حج بقلبك لترى آثار ربك. وليس من هاجر ليرى آثار الأنبياء كمن ساح ليرى آثار الرب جل وعلا ﴿وَمَا بِكُمْ مِّن نَّعْمَةٍ فَمِنَ اللَّهِ﴾ النحل ٥٣.

زِن نفسك بقدر نيتك لا بقدر عملك، فإن الأعمال لا توزن عند الله، وإنما توزن القصود والهمم، واعلم أن أعمال القلوب وارد علام الغيوب، وأعمال الجوارح قد تكون لداعى الحظ أو لباعث الشهود. وَهَمُّ آلِ الْعِزَائِمِ الْقَبُولُ، وإنما الإقبال سبب لا علة، وكم من مُدبرٍ مقبول وكم من مُقبلٍ مفصول.

حكم الأزل منفذ أبداً وإن تغيرت مقتضياته، فإذا شهدت سر القدر حفظك الله من الحد، وإنما الإقبال إقبال القلوب، وإنما الجوارح آلتها، والشأن كل الشأن تصحيح النية، ومعارض الأعمال الإخلاص، وكمال الإخلاص الفناء عنه مع التحقق به.

الفناء والبقاء

الفناء هو العجز عن إدراك العبودية، والبقاء دوام مشاهدة الألوهية، يعنى أنه من النقص أن تتيقظ لأعمالك وأنت قد بلغت الرشد، فإن لم تدرك ذلك كنت فانياً عن مشاهدتها، وصرت باقياً بمشاهدة فعل الله تعالى، وبذلك تنسب كل أعمالك لله لا إلى نفسك. وحيث أن الإنسان إذا انتسب إليه كان ذلك نقصاً، فتكون الأشياء التى ينسبها الله تعالى للإنسان

كهاً، لذلك كان من فنى عن الأشياء المنسوبة إليه باقياً بجمال الله تعالى.

وحقيقة العبودية واقعة بين الفناء والبقاء، لأنه لا يمكن أن يخلص في عبادته لمولاه عز وجل إلا بعد أن يزهد في صوالح نفسه وحسه، ولذلك كان التخلص من آدميته هو عين الفناء، والإخلاص في العبودية هو البقاء، ولذا قيل: علم الفناء والبقاء راجع إلى الإخلاص والواحدية والعبودية الحقّة. وكل ما عدا ذلك فهو ضلال وبهتان، بمعنى أن الإنسان إذا أقر بوحدانية الله تعالى يشعر بأنه مقهور بجبروت الله تعالى، ومن كان مغلوباً يكون فانياً في جلال الغالب، وإذا وُفي بكل شروط فئائه اعترف بضعفه، ولا يرى مدداً له إلا في عبادة الله تعالى، ومجاهدته لنفسه لنيل رضوانه، ومن عبّر عن هذه الألفاظ بغير ذلك، يعنى أن الفناء هو فناء المادة والبقاء هو بقاء الله تعالى في الإنسان، كان ضالاً ومحرفاً نصرانياً.

إن كل هذه التعريفات مُتفقّة في المعنى، ولو كانت مختلفة في اللفظ، وخلاصتها أن الفناء يتحقق للإنسان بعد مشاهدة جلال الله، وبعد انكشاف جبروته لقلبه حتى في حيرته عن إدراك جلال الله، وتمحى الدنيا والآخرة في نظره، وهنا تظهر الأحوال والمقامات له بمظهر حقير، لدهشته مما يشهده له من الكرامات، وعندها تذهب جفوته، ويكون ميتاً بالنظر إلى عقله وهواه، ميتاً عن فناء نفسه، وإنه في حالة فناء لفئائه، لا ينطق لسانه إلا بالله، فيكون عقله قاصراً وجسمه عاجزاً كما كان أولاً، عندما أخذ العهود لذرية آدم، قبل أن يختلّفوا بالشيطان، وأقروا بعبوديته.

هذه هي أصول الفناء والبقاء، وقد تكلمت عنها، فراجع ذلك تجد المزيد، وإذا خلونا حلونا.

بالفنا في الصحو قد نلنا المرام	بالفنا حال به الصحو مقام
خمرة الحان ففى دور السقام	من يكن في صحوه لم يشربن
كيف يمشى ذو العزائم في الظلام؟!	والفنا من صحوه خطر نعم
بالوجود الحق صح لى القيام	لم يزل صحوى الفناء لأننى
عن عقول لم يهذبا الغرام	بين صحوى والفنا غيب علا
أشهد القادر يقرئنى السلام	في الفنا بدئى شهودى ظاهر

حيث والإيمان يجذبني به
من يجئ مستسلماً ومصداً
لى فناء فى بقائى ظاهر
والفناء ملاحظ فى باطنى
لى وجود فى فنائى مشرق
لى وجود فى بقائى صح لى
عين الحكمة صحوى فانجلى
أشرفت شمس الحكيم بلا خفا
قادر وهو الحكيم تنزهت
قدرة تخفى وجودى بالضيا
سر سبرى فى الحقيقة غامض
راح قدس أسكرت من خصصوا

فاقرأ الآى فقل ودع الملام
يمنح الرحمة فى حال المقام
للتقرب باطنى نور الهيام
والبقا التثبيت فى نص الكلام
بالضيا القدسى إن صح المقام
فيه تعيينى بمرتبة الرغام
قدرة القادر لى لا باللاثام
لاح لى القادر فى غيب الغمام
ذاته عن كل ند وانقسام
حكمة قد أوجبت خوف المقام
فوق قدر العقل من قبل المدام
من ﴿أَلَسْتُ﴾ بالعناية والسلام

فناء الصادقين وفناء الكاذبين

لا تزول البشرية، وزوالها حصول البلية لأن بها الجهاد فى سبيل الله، ولولاها لما امتاز
الإنسان عن عوالم الروحانيين، قال الله تعالى: ﴿لَا يَسْتَوِي الْقَاعِدُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُولَى
الضَّرْرِ وَالْمُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ عَلَى
الْقَاعِدِينَ دَرَجَةً وَكُلًّا وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَى وَفَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ عَلَى الْقَاعِدِينَ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ النساء ٩٥.

فناء الكاذبين مخالفة أمر الحاكم سبحانه مع قيام البشرية مقتضى ولازماً، والإمام فى هذا
إبليس فنى كاذباً فترك الأمر مجانباً، أما فناء الصادقين فالقيام بالأمر مسارعة إلى السمع
والطاعة والفناء عنه بنسبته إلى الموفق المعين الموجد المد سبحانه، حتى لا تشهد المنة من
العامل فيستكثر عمله، قال الله تعالى: ﴿فَلَمْ تَقْتُلُوهُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ قَتَلَهُمْ﴾ الأنفال ١٧، فأفناهم عن
شهود نسبة العمل إليهم بعد أن تفضل سبحانه عليهم بالإحسان بالقيام به، فهم العاملون

كما أمر، الفانون عن نسبته إليهم كما أحب منهم وطلب، وإمامهم رسول الله ﷺ كان يستغفر الله صلوات الله وسلامه عليه، ليستر عنه العمل بعد قيامه به، ليفنى عنه ﷺ لكمال تحققة بحقيقة التوحيد، قال الله تعالى: ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ﴾ فاطر ١٠، وهو الفناء عن نسبة العمل إلى العامل بعد القيام بالعمل كما أمر سبحانه، ومن ترك الأمر وظن أنه فان بترك الأمر وشعر بألم الجوع والعطش فهو شيطان الإنس اقتدى بشيطان الجن، وأهل الفناء هم أهل الكهف الذين مكتوا بضعاً وثلاثمائة سنة فانين عن البشرية ولوازمها، مستغرقين في شهود التوحيد بالتوحيد، ومن ادعى الفناء فترك الأمر والنهي، كان ممن شنع الله عليهم بقوله سبحانه وتعالى: ﴿وَإِذَا فَعَلُوا فَحِشَةً قَالُوا وَجَدْنَا عَلَيْهَا آبَاءَنَا وَاللَّهُ أَمَرْنَا بِهَا قُلْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ اتَّقُوا اللَّهَ عَلَىٰ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ الأعراف ٢٨، رزقنا الله السمع والطاعة لأمره جل جلاله، والفناء عن نسبة الأعمال لنا بعد القيام له بها مخلصين له الدين يا رب العالمين، ونعم الفناء طريق المخلصين من أولياء الله الموقنين، ولكنه ترك ليس للسالك أن ينزل فيه إلا بعد معرفة طريقين: الخبرة به، والسير فيه. والله الموفق للصواب.

الوجد والوجود لا التواجد والتقليد

الأعمال إما جسمانية وإما روحانية وإما مزدوجة، وقد بينت تفصيل هذا الإجمال في كتاب "النور المبين" فراجع في موضعه إن شئت، ولكني أبين هنا أن الأعمال البدنية يجب فيها التقليد فإنها توفيقية، بنص قوله ﷺ: (صلوا كما رأيتموني أصلي).

أما الأعمال الروحانية فالناس فيها أقسام، وقد بينت ذلك في كتاب "معارج المقربين" عند تفصيل العلم والإيمان، والواجب على المسلم أن يصدق من هو فوقه في العلم فيما أخبره به، قال تعالى: ﴿وَفَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ عَلِيمٌ﴾ يوسف ٧٦، ثم بعد تصديقه إن كان من أهل الاستعداد النفساني، نظر فأبصر وفكر فذكر وذكر فحضر، فالتقليد له غير مباح، بل الواجب عليه أن لا يتشبه بأهل المقامات العلية قبل صفاء جوهر النفس، فإن تشبهه بهم في الأعمال الروحانية القلبية مهلك له، وذلك لأن الواجد ليس كالفائد، فللواجد مقتضيات اقتضاها واجب وقته وصريح كشفه، فقد يقتضى وقته في شهود معاني الربوبية وأنوار الألوهية، تجذبه تلك المعاني من لوازم بشريته ومقتضيات آدميته وبواعث إنسانيته، حتى يشرف على

الملوكوت، وكم من سيد من أبناء الملوك خرج فاراً إلى الله، وصار يكتسب من أدنى المهن خفاء لحاله كإبراهيم بن أدهم وبهلول وأحمد الرفاعي الشهير وغيرهم رضى الله عنهم، وكم من غارق في كبائر الذنوب وقبائح الفواحش جذبته تلك الجواذب الإحسانية فأصبح والملوك تقبل يديه، كالفضيل بن عياض ومعروف الكرخي وغيرهما رضى الله عنهم، وكم وكم مما لا يحصى، وقد بُيِّنَتْ أحوالهم في تراجمهم، وهى صولة الحق تصدم العبد فتخرجه منه إلى ربه، ولا ينكر عليهم في هذا الحال ما دام حالهم عن وجد ووجود، إلا عمى الطرف جهول أبعده سابقه السوءى عن مشاهدتهم العلية، وحجبه حرمانه من العطايا الإلهية عن التسليم لأحوالهم المحمدية، ومواجيدهم عن عين أو حق اليقين، إنما أنكر على السالكين أن يتكلفوا تلك الأحوال العلية، وأن يقلدوا أهل المقامات السامية من غير وارد يرد من الحق جل جلاله، ولا وجد يجدونه، ولا خروج من البشرية، ولا تخلية للنفس من نجاساتها، ولا تركية لها من لقسها، فترى المرید يميز بين الكثير والقليل والحلو والمر وما له وعليه، يتبع هواه ولو خالف الشريعة، ويطيع شحه ولو دعاه إلى باطل، ويعجب برأيه ولو كان مُخالفاً لصريح كلام الله تعالى وكلام رسول الله ﷺ، يعادى من أنكر عليه، ويؤذى من نافسه في عرض الدنيا، وهذه المعانى كلها ليست من صفات أهل البداية فضلاً عن أن يتصف بها أهل السلوك، فكيف يصح أن تكون أخلاقاً لأهل المقامات العالية ممن أحبهم الله وصافهم، ترى الرجل منهم يترك ما أوجبه الشرع ويظهر أن ذلك وجد، وأنه مأخوذ وليس مكلفاً، يسارع إلى ملء بطنه، وإلى نيل عاجلٍ فإن يغضب إذا حرمه، ويدعو على من منعه منه، هذا الذى أنكره وينكره أئمة أهل طريقنا هذا، وإلا فالوجد الصادق والوجود الحق قد يطفئ نار البشرية، حتى يحصل الاضطلام المحرق والحال المزعج، فيخرج الواحد هائماً على وجهه في البرارى فاقداً مراده وحسه، فترى بعضهم يسكن الكهف مع السباع والوحوش غير شاعر بأنها مسلطة عليه لغلبة وجده.

وفى قصة سحرة فرعون ونسوة يوسف عليه السلام أسطع برهان على أن الوجد الصادق يهدم أسوار البشرية ويخمد نيرانها، حتى لا يكاد الإنسان يشعر بفادح الآلام ولا بشديد الأسقام، بل ولا بتصلبيه في جذوع النخل، أو بقطع أعضائه بيده، وهذا هو الوجد الصادق حقاً، ولا يلوم على أهله إلا من حُرِمَ الفيض الأقدس، وسلب القوى البشرية والميزة الآدمية

والفضائل الإنسانية، فصار كالأنعام بل أضل سبيلاً، ومن كان أضل من الأنعام كيف يُسلم بأحوال أهل الإنعام! ذلك فضل الله يؤتیه من يشاء، والله ذو الفضل العظيم.

فعلى المرید طالب الحق أن يقلد المرشد في أعماله الجسمانية بأكمل معانيها، وأن يجاهد نفسه الجهاد الأكبر، حتى يخرج من عوائده ويتطهر من نجاسات أخلاقه، ويتخلى من قاذورات أطماعه ويتزكى من ظلمة طباعه، حتى يكون أخرجه الله وأدخله الله، قال تعالى: ﴿وَقُلْ رَبِّ ادْخِلْنِيْ مُدْخَلَ صِدْقٍ وَأَخْرِجْنِيْ مُخْرَجَ صِدْقٍ وَأَجْعَلْ لِيْ مِنْ لَّدُنْكَ سُلْطٰنًا نَّصِيْرًا﴾ الأسماء ٨٠.

والدخول والخروج في الطريق إنما هو خروج من صفات إلى صفات، ومن أخلاق إلى أخلاق، ومن فطر مشنع عليها إلى فضائل مرغب فيها، ذلك يكون كيف كان فإنه على الحق، ومن كان على الحق وَبَعْدَ - وإن عاداه الخلق - يتول أمره لأن يسود الدنيا في الدنيا والآخرة، فإن الباطل يزهد بمجئ الحق، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

لولا شهودى وجودى	لم يحل لي توحيدى
فيه يصح بقائى	في حضرة التفريد
كشف صريح بمعنى	جهادى التجريد
يصفو شرابى إذا ما	أخفى وجودى شهودى
أخفى عن العقل لكن	تبدي ظلالى عديدى
لم يشهدن نور قدرى	إلا لفرد وحييد
ظلى يبرى لعقول	قد حجبت بالقيود
لولا لم يبد منى	إلا ضياء الحميد
نور الوجود جلى	مرأى الفتى المحمود
لم أشهد فيه إلا	معنى جمال الودود
يخفى عن العقل نورى	لم يظهرن لبعيد
سر الوجود خفى	عن حيطه التحديد
نور أضواء بأزل	من غير لبس جديد

هَذَا جَمَالٌ وَجُودٌ يَبْدُو لَخَيْرِ الْعَبِيدِ
فِيهِ أَكْثَرُ مَرَادًا لَشَاهِدِ مَشْهُودِ
وَالْوَجْدُ بَدَأَ سَلُوكِي رَاحَ صِفَا الْمُرِيدِ
خَمْرٌ طَهَّرَ أَدْيِيرَتِ مِنْ مَنَعَمٍ وَمَجِيدِ
صَلِّ إِلَهِي عَلَى مَنْ وَافِيَ بِخَيْرِ الشُّهُودِ

الصفاء والاصطفاء

الصفاء الروحاني معراج الاصطفاء الإلهي وبراقه المحبة، فمن أرسل الله له البراق اصطفاه للتلاق، قال تعالى: ﴿وَأَنَّ الْفَضْلَ بِيَدِ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ﴾ الحديد ٢٩.

إذا أحببت أن تصطفى لنفسك الصحبة بعد رسول الله ﷺ فاصطفِ أشبه الناس به ﷺ، لتنال معيته إن لم تحظ بعنديته، وإلا فاصطفِ من لا يصطفى غيره ﷺ.

إذا صحبت أشبه الناس برسول الله ﷺ فاحفظ موازين الشريعة معه وسلم له بعد المحافظة عليه ما لم يدركه عقلك، قال تعالى: ﴿وَتَعْلَمُكُمْ مَا لَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ﴾ البقرة ١٥١.

ولك يا أخى فى نفسك أدب آخر وهو أن تأخذ بالعزائم وإن رحمتك فكلفك بالرخص، فإن عنايته بك ترفعك فى قلبه مكاناً علياً، فأعط للمقام فى قلبه حقه وإن لم يطالبك هو به، فإن ذلك من شأن المتقين قال تعالى: ﴿طه﴾ مَا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لِتَشْقَىٰ ﴿٢-١﴾ طه ٢-١، وقال تعالى: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾ الأحزاب ٢١، وقال سبحانه: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾ الأنبياء ١٠٧، فمن أرسله الله رحمة للعالمين فالله تعالى أرحم به من نفسه، ولكنه ﷺ مع هذا كان أكمل الناس شكراً لله، وأنت تعلم أن الشكر عمل. ومن اقتطف من رياض سيرته ﷺ ثار قوت الأرواح، تعلم قدر معاملة المحبوب الأكبر لحبيبه ﷺ.

الغيبة والحضور

أغض عينيك عن نفسك وعن كل غير الله تعالى، فإنك فى هذا المقام تحترق صفات آدميتك بنار القرب من الله، وهذا هو مقام حال الغيبة الذى أخرجك به الله من ظهر آدم

﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَىٰ﴾ الأعراف ١٧٢،
 وأهلك لسباع خطابه المقدس، وخصك بلباس التوحيد وحلة المشاهدة، وكلما كنت غائباً عن
 نفسك كنت حاضراً مع ربك وجهاً لوجه، لكن إذا حضرت مع صفاتك كنت غائباً عن معية
 الله تعالى، وحيث كان ذلك كذلك فحضورك هلاكك، وهذا المعنى من قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ
 جِئْتُمُونَا فُرَادَىٰ كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾ الأنعام ٩٤.

والمتمكن يرى أن الغيبة والحضور، اصطلاح لمقامين ولو اختلفا لفظاً، إلا أنها اتحدا معنى
 من كل الوجوه، فالحضور هو حضور القلب ليكون علامة على اليقين، حتى يكون ما هو
 غيب محض عنه في قوة ما هو مشاهد له، والغيبة هي غيبة القلب عن كل ما سوى الله تعالى،
 حتى يكون غائباً عن نفسه وغائباً عن غيبته، وبذلك لا يعتبر نفسه، وعلامة ذلك حال
 صادق لا يخرج عن حكم الرسوم فهي فطرته، وهي كالعصمة للأنبياء من كل ما يخالف
 الشرع، لذلك كانت غيبة الإنسان عن نفسه حضوراً مع الله، والعكس بالعكس، والله تعالى
 هو المسيطر على قلوب بنى آدم، فإذا قهرت الجذبة الإلهية قلب طالب، كانت غيبة قلبه
 متساوية بالحضور مع الله تعالى، وانمحت الشركة والقسمة، وانتهى النسب الذى يدلى
 لنفسه.

الغيبة والصحو

إذا جذبتك العناية حتى أجلستك على مستوى الوراثة، أو زجت بك في أفق البيان بعامل
 الانتقال، فبين في الغيبة جلى البيان، فإذا صحت فاحذر أن تبين إلا ما يناسب المسامح
 والقلوب، فإنك في حال غيبتك عنك محمول على رفارف العناية، وإنما تتمد موائد الكرامة
 لأهل العناية، فإذا بسط بساط الإيناس فأطلق عنان الأنفاس، فإنك في هذا المقام مأذون
 وعلى ما تبديه مأمون، وليس هذا الشأن عادة، وإنما هي صولة الحق على من يتجمل بالحب
 لنفع الخلق.

الجمع والفرق

حقيقة سر الجمع هي معرفة إرادة الله، أما الفرق فهو إثبات ما أمر به أو نهى عنه، مثال

ذلك أمر إبراهيم عليه السلام بذبح اسماعيل عليه السلام ولكنه أراد ألا يفعل ذلك، وأمر إبليس أن يسجد
لآدم وأراد غير ذلك، وأمر آدم بأن لا يأكل من الشجرة وأراد أن يأكل منها.

فالجمع هو ما اتصل بصفاته، والفرق هو ما فرقه بأحكامه، وكل ذلك يحتوى على سر
الإرادة الإلهية وإثبات المشيئة الإلهية حتى تفنى المقاصد الشخصية.

والجمع بلا فرق زندقة، وكل فرق بلا جمع تعطيل، والجمع تجريد التوحيد، والتفرقة تجريد
الاكتساب عن العبد، وفلان عين الجمع يعنى استولت مراقبة الحق على باطنه، فإذا عاد إلى
شئ من أعماله عاد إلى الفرق. فصحة الجمع بالفرق وصحة الفرق بالجمع، وهذا يرجع إلى
أن الجمع من العلم بالله، وأن الفرق من العلم بأمر الله، ولائد منها جميعاً، فالجمع حكم
الروح والتفرقة حكم القلب، فما دام هذا التركيب باقياً فلا بد من الجمع والتفرقة، فإذا نظرت
إلى نفسك فرقت، وإذا نظرت إلى ربك جمعت.

الجمع حال الوفا نحو الإشارات
والجمع حال الصفا إثبات مرتبتى
الغيب يشرق لى والبدء منزلتى
لوح لأنوار أسرار مقدسة
الجمع سر اتحاد ﴿كُنْ﴾ به محيت
قد جزت عودى وبدئى ثم لى ظهرت
لا بدء لى وأنا آى مقدسة
للبدء عدت بجمعى أولاً وبدا
لا جمع لا فرق والأسرار غامضة
للمقتضى حكمة تنبى بقدرته
الشمس قد أشرقت أخفت بطلعتها
هذا هو الجمع فصلى فى مواصلتى
لولا التنزل فى طور الظهور بدا
للعقل مظهره للروح مشهده

حتى يلوح البها فى أفق مرآتى
نور يضىء بمجلى حضرة الذات
والجمع فرقى إذا حققت إثباتى
أم الكتاب بها تفصيل آياتى
عنى لدى الجمع نهاياتى
معنى ﴿وَلَمْ تَكُ شَيْئًا﴾ ذق إشارتى
تخفى على العقل عن آى النبوات
نور اجتلا الوصف ينبى بالكلمات
سر السلوك بدا فى رمز مشكاة
والبدء رمز لظلى أو لهالات
كل النجوم وأخفت كل ظلمات
عين أضاءت بلا أفق وحيطات
أنوار ظاهرة مجلى حضرة الذات
للسر وجهه ومحوى فيه إثباتى

من بعد محوى سر السر كنت أنا غيب علا عن خفيات الإشارات
من بعد غيبتي ترى في ﴿كُنْتِهِ﴾ ظهرت أسرار قبضة أنوار الكمالات
غيب مصون فلا الأرواح تشهده منى عليك حبيبي خير صلواتي

التنزيه والتشبيه

ليس التنزيه تنزيهك الحق عن نقصك والعالم، إنما التنزيه أن تنزهه عن التنزيه، مع اعتقادك أنك عاجز عن معنى تنزيهه، وما نزهه حقاً من لم يشبهه شهوداً. وليس التشبيه أن تجعل له قبلاً تتصوره، أو صورة ترسم حدودها على جوهر نفسك، وإنما هو علمك نفسك من حيث البداية، فإن معنك الروحاني باطنك ومعنك الجسماني ظاهرك، وهو الظاهر والباطن، وهذا المقام الروحاني الذي به علم الملائكة ما لم يكونوا يعلمون، فاشهد تسبيح نفسك له إذا تجلى لك بالسميع، واسمع تنزيه حقائقك له سبحانه إذا تجلى لك باسم البصير، لديها تعرف نفسك فتعرف ربك، وما انكشف لك إلا أنت، وهو على عن أن يدرك، عظيم عن أن يشبه، وهو له نور أنى نراه؟!!

الخلق والجعل

قال تعالى ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَجَعَلَ الظُّلُمَاتِ وَالنُّورَ﴾ الأنعام ١، فالظلمات والنور هما مقتضى الإنسان إذ إنه من روح وجسد، فالجسد ظلمة حيث أنه يستر الروح، وهى النور من شهود الأحدية، ونجد أن الله قد عدد الظلمات لأن الجسم رمز الواحدية وهى مقتضى الكثرة، بينما أفرد النور لأن الروح هى التى شاهدت الأحدية قبل خلق الأشياء فهى رمز لها، والأحادية مقتضى الوحدة، ونجد أنه سبحانه وتعالى قد جعل السماوات والأرض خلق، والظلمات والنور جعل وليس خلق، والجعل فوق الخلق، وهذا إشارة إلى قوله تعالى ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ﴾ الأسماء ٧٠، فهم محل التكريم من الحق عز وجل على سائر الكائنات.

السكينة

السكون هو الذى ينزله الله تعالى فى قلب عبده المؤمن عند اضطرابه من شدة المخاوف،

فلا ينزعج بعد ذلك لما يرد عليه، ويوجب له زيادة الإيمان وقوة اليقين والثبات، ولذلك أخبر الله سبحانه وتعالى عن إنزال السكينة على رسول الله ﷺ وعلى المؤمنين في مواضع القلق والاضطراب، كيوم الغار ويوم حنين.

ومعلوم أن للنفس همامة حركة وجولة فكرة، بحسب صفاء جوهرها وتزكيتها من دواعي عنصر هيكلها، فإذا طاشت بها مقتضيات العناصر في حال قيامها مقام العامل للحق، وانفعلت بالبواعث الحسية، وكان لها الحسنى من الله تعالى في سر القدر، تداركها الله بالسكينة فسكنت النفس إلى نفسها، وأقبل القلب على مقلبه هيبه لعظمت الجلال، وخشية من عزة المجد. فالسكينة سكون النفس إلى النفس جل جلاله بالهيبه والخشية عند المقتضيات، فتكون بحسب المقتضى لا في كل آن، وقد تكون بانكشاف الحقائق جلية في مقام المحدثين، وقد تنزل على القلوب بعد علم ما فيها ﴿وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ البقرة ٢١٦.

فالأولى كسكينة بنى إسرائيل، وهى آثار من آثار الأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم يثبت الله بها القلوب عند الفزع، وتطمئن بها النفوس عند الجزع، تحمل عند الخوف فيحصل الأمن، وعند الزلزلة فيحصل التثبيت.

والسكينة الثانية جذبة الحق التى يجذب بها العبد المراد لذاته سبحانه فيشهد على آياته ويعلمه القرآن ويأذنه بالبيان، فيكون محدثاً من المحدثين، ينطق بالحكمة العلية ويبين سر الأزلية، ويشهد النفوس أنوار القدوس، يخبر عن الغيب المصون ويبين أسرار المكنون، وهو الذى جعل الله له نوراً يمشى به فى الناس بعد مودة الإرادة قبل مودة عزرائيل.

وفى السكينة التى نزلت على القلوب معان منها: النور والقوة والروح. فالنور بيان مراد الله فى سر قدره. والقوة فى الإقدام على مرضى الله ومحابه. والروح لتسكن نفس الجزع، وتطمئن قلب الفزع، ويتروح المحزون ويأنس المكروب، ويرجع الغالى إلى الوسط، ويرتقى المتهاون إلى الوسط بها، وتزكو نفس الأبى والجرى، وكفى أنها تسكن بها النفس إلى نفسها، وسكونها هو محبوب الله، لأن الله خلق النفس متحركة وأمرها بالسكون إليه، فسكونها بالمنة وحركتها للمحنة، وفى حركتها هلاكها وفى سكونها نجاتها، فالسكينة فى الحقيقة نجات النفوس من كل موجبات البؤس، أسأل الله تعالى أن يمن علينا بالسكينة حتى تسكن إليه سبحانه

نفوسنا، وتطمئن بذكره تعالى قلوبنا.

إلى النفس هيا فاسكنى نفسى
خل العوالم من علو ومن سفلى
يا نفس إن جمال الكون عارياة
فرى إلى الله يا نفسى مسارعة
الله أكبر من دنيا وآخرة
يا نفس بعد شهود العين يحسن بى
نص القرآن صريح نفس فاذكرى
يا قابل التوب إنى قد أنبت إلى
سقمى وشيى وإجرامى تداركنى
وسع عطايك لى أكرم بنى وكن
توفنى مسلما وامنح شفا فضلاً
حتى أهنى بما توليه من حسنى

كيا تنالى الرضا فى حظوة الأنس
إلى محيط سياج العرش والكرسى
يفنى وغايته أن تدخلى رسمى
كيف الحجاب بملك أو بفردوس
قد أنبأتنى عنه نفخة القدس
نسيان ذنبى فى يومى وفى أمسى
فرى إلى الله من ريب ومن لبس
عميم فضلك فاحفظنى من الحس
بالعفو منك وبالرضوان فى أنس
عوناً لإخواننا من فادح البأس
والراح بالعين فامنحه بلا كأس
كشفاً عياناً بعين الروح

الحال الظاهر

الظاهر من الأعمال ميزان الخلق، والحق محل نظره القلب، فعلى الإنسان أن يحكم على الناس بظواهرهم حالاً غير موقن بالمآل، فقد يكون المآل على مقتضى ظواهرهم، وقد يكون على غير ذلك، وكل ذلك بحسب السابقة.

أنت أيها الإنسان لا تعلم ما سبق فى العلم، فلا تفرح بحسن الحال الظاهر فى آخر، ولا تحزن بسوء الحال الظاهر فى آخر، فإن الأحوال تتحول والشئون تتجدد، ولكن عليك أن تجعل الشكر حصناً لحسن حالك، والابتهاال وسيلة لتحسين مآلك.

أنت أيها الإنسان اجعل ثقتك بمن لا يتغير ولا يتحول، وأوصل نسبك بنسبه، وأنس به ليدوم فرحك وتتوالى عليك البشائر فى دنياك وآخرتك، واجعل مدحك للناس فى حال

إحسانهم بلسانك تنشيطاً لهم، ولا تركز بقلبك إليهم ولتكون على حذر منهم.

ليس كل إقبال موجباً للقبول، ولا كل تمسك بالصالحات مؤدياً إلى الوصول، وإنما تصل إلى مولاك بنسبك، وتقبل لديه بأخلاقه التي تتجمل بها، فنسبك له عبد مفتقر ومضطر، ونسبته إليك رب يمدك بالإيجاد والإمداد.

ليس الوصول تلذذ بالأعمال وتجميل بالأحوال، إنما الوصول معرفتك نفسك وعلمك مرتبتك، وتحقيقك بفاقتك واضطرارك له، فكم من عامل بالكتاب والسنة وهو أشر على المسلمين من الجنة، وكم من متظاهر بزي المسلمين وهو أضر عليهم من الشياطين، فجميل باطنك لمولاك يدوم وقتك وعلاك، متى تتجمل بالعبودية وأنت ترى نفسك خيراً من سواك أو أولى بفضل مولاك، عجباً لك! أو تقسم رحمة ربك! إن الفضل بيد الله يؤتيه من يشاء.

الحال القاهر

ليس الحال بالتكلف، ولو كان الحال بالتكلف لناله أهل الرياضة، ولكنه وارد الحق يهجم على القلوب فيصل عليها صولة حقانية، فيفر العبد إلى الله ناسياً ما سواه. وكم من ملك فارق الملك فاراً إلى البادية، وكم من عزيز هجر العز ورضى بالذل، وكم من غنى أنفق أمواله على الفقراء وخرج يتسول، وكم من عظيم في قومه صال عليه وارد الحق، فخرج من عظمته بين قومه وصار يحتطب أو يحمل القمامة ليملاً بطنه، وكم من خارج ليقطع الطريق فاقتطعه الله، وكم من عازم أن يقتل عدوه فقتله الله بسيف المحبة ﴿ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ﴾ الحديد ٢١، ولولا ذلك لادعى تلك الحال العباد والزهاد، وكم من عابد وزاهد لا يشم هذا الطيب ولا يشهد هذا المشهد، وإنما هي خصوصية يختص الله بها من يشاء من عباده، وكم من سالك يتعلق بالأسباب والله يجذبه إلى التجريد حتى يتحقق أنه مجذوب إلى التجريد، فيترك الأسباب ويعكف على الله متوكلاً عليه ﴿وَاللَّهُ غَالِبٌ عَلَى أَمْرِهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ يوسف ٢١، ومتى طلب الله العبد وطلب العبد الدنيا، ضاقت عليه الدنيا حتى تصير كسَمِّ الخياط فلم يجد لها وجهة، فيرجع مقهوراً إلى الله ﴿وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ﴾ الأنعام ١٨، فإذا رجع إلى الله رجع الله إليه وأقبل بوجوه الخلق عليه، ويسر له الأمر من حيث لا يحتسب، وفتح له أبواب الخير، ولديها يصح اليقين ويزول

التلوين واللبس، وتسكن النفس إلى نفسها، فيحلو له التوكل على الله، ويطيب له التفويض إليه، ويصح منه الإسلام له.

إن الله جل جلاله لا يُكرم من استهان بأحكامه ولا من عصاه، ولا يُنال ما عند الله بطاعته. وإنا لنقرأ في تراجم الرجال من إكرام الله لهم ما هو برهان ناصع على أنهم أطاعوا الله فأطاعهم، واستجابوا لله فاستجاب الله لهم، وعملوا بوصاياه فتولاهم، واتبعوا حبيبه محمداً ﷺ فأحبهم الله لحبهم له ﷺ.

والله أسأل أن يمنحنا التسليم، ويجملنا باليقين، ويهب لنا الحب الخالص لوجهه الكريم، ويحفظنا من البدعة في سنة سيد المرسلين، ويشرح صدورنا وينير أمورنا، إنه مجيب الدعاء.



الفصل السادس

الإمامة نيابة عن الرسالة

الحقيقة المحمدية

هي غيب مضمون لأنها تقتضى سر الإرادة للظهور وكمال العناية للبطون، اقتضى الوجود الذاتى كمالاً ذاتياً لاح أزلاً في كنوز الغيب المصون، ظهرت للأرواح العاليات سواطع أنواره في غيبها المكنون عن العيون بأسماء الكمال العشرة، اقتضى المرموز بالأسماء المكنونة في ظلمة الغيوب كمالاً، غاب هذا الكمال عن عالم أعلى عليين، وظهرت أنوار مقتضاه بأسماء الجمال والجلال التسعة والثمانين، ولهذا ظهر بالبيان لأهل مقام الإحسان، وبالعيان لأهل مقام الإيقان، وبالإنابة في مقام التجلى، وبالإشارة في مقام التخلّى، ألح الآيات المخفية للكائنات، وظهر للأرواح في مرائى الأشباح، والحق واحد وإن كثرت أسماؤه، وإنما هي لواحد أحد، والمخلق واحد وإن كثرت أنواعه وأفراده، لأنه مرآة لشروق الإشراق، وسدرة لغشيان معانى الصفات، وحظوة التلاقي، والواحد مراد الأحد، وهو سر الإيجاد والإمداد، فكانت حقيقته المحمدية نور تلك المقتضيات الكمالية، تضى بوميض الكمال الذاتى في

حضرات الأسماء إجمالاً وتفصيلاً، فلها الأولوية إيجاباً في عالم ظهور الغيب، ولها الخاتمية إيجاباً في عالم الشهادة، وهي الجوهرية المرادة للحق أزلاً وأبداً جل جلاله، والكل لها مقتضى كينونتها، وبحكم تلك الصورة التي تظلت بأنوار تلك الحقيقة، أكرم الله بنى آدم وحملهم في البر والبحر، وسخر لهم كل شئ في ملكه وملكوته، تلك الحقيقة من حيث هي بالنسبة لمبدعها وموجدها، وهي بالنسبة للمبدعات الكوكب الدرى المضى بزيت الظهور في المثال ونور البطون في المواجهة. ولما كانت تلك الحقيقة الفردية هي المرادة للحق أزلاً وأبداً اقتضى هذا الفضل العظيم أن يحملها بمحابه ومراضيه هيئةً وعقيدةً وعملاً وحالاً وعلماً وكشفاً وشهوداً، وأظهره جل جلاله مجملاً بمحابه ومراضيه التي اقتضتها المكانة الإنسانية بقدرها، فكان ظهوره لنا بقدر المرتبة، وحقوق المكانة فوق مقدار أرواحنا، ومن ذاق حلاوة ﴿كَجَهْرٍ بِعَضِكُمْ لِبَعْضٍ﴾ الحجرات ٢، يشم عبير هذه الروضة، ومن سطعت عليه أنوار ﴿فَوْقَ أَيْدِيهِمْ﴾ الفتح ١٠، يذوق ظهور هذا الشراب، ومن تناول رحيق ﴿وَتَعَزَّوهُ وَتُوقِّرُوهُ﴾ الفتح ٩، اصطم بمعناه.

العبد

من عرف العبد سعد بالزلفى، ومن تشبه به فاز بالحسنى، والعبد لا يعرفه إلا من أحبه الله، ولا يتشبه به إلا من اختاره واصطفاه، العبد شهود الواصلين، وبشهوده معية رب العالمين.

أحب العبودية في العبد، وأحب الله في العبودية، ولا تحب العبد في العبودية، ولا تحب العبودية في الله.

أقبل بكلك مسارعاً، والحظ ربك معيناً موفقاً نافعاً، حتى تشم وميض أنوار العبودية في أمن الشريعة وروض التوحيد، وأثبت المحدث من غير لبس، ونزه القدم في حالة الأُنس لتكون مجملاً بحلل الحضرتين ناظراً بالعينين موفياً للدين حاضراً بالروح في قاب قوسين.

الورثة أربعة

ورثة الأقوال وهم حملة الشريعة الأمانة الممنوحون الفهم. وورثة الأعمال وهم العباد الورعون. وورثة الأحوال وهم أهل المواجيد الصادقة المحدثون.

والوارث الفرد الجامع وهو هيكل الرب، ومشكاة المكانة المحمدية، وشجرة زيتون المثل الأعلى للمكانة الأحمديّة، القائم بالحىّ الذى استظهر بالقرآن من لدن، ورتله محادثة مع ربه بعد تلاوته، لأن الفرد القرآنى هو الذى أفرده الله بالإيثار لحبيبه ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَاكَ سَبْعًا مِّنَ الْمَثَانِي وَالْقُرْآنَ الْعَظِيمَ﴾ الحجر ٨٧، وعظيم هنا إشارة إلى إقبال القلوب على الفرد القائم إقبالاً به يكون القرآن عظيماً فى نفوسهم بعد غفلة القلوب، ولكل وارث أصحاب، ولكن الرضوان الأكبر لأهل الفرد الوارث الجامع لأنهم أهل الذكر الأكبر، وذلك لأنهم استغرقوا فى ذكر الله فى كل شأن بعد أن أتقنوا الوضوء وصلوا الركعتين لله، قال ﷺ: (من توضأ فأحسن الوضوء وصلّى ركعتين لله خرج من ذنوبه كيوم ولدته أمه). والوضوء طهارة الجوارح السبع حساً ومعنى، وهو المشار إليه بقوله ﷺ: (أحسن) والصلاة تحقيق تعيين المرتبتين لحصول المواجهة حال القيام والركوع والسجود، فتكون كل جارحة ذاكرة الله بحسب أفقها المبين لها.

وأصحاب الفرد الجامع بين مستحضر أو حاضر، فبدايتهم المراقبة من حيث أنفسهم، ومرتبة البدنية من حيث الصحبة، فتراهم يدعون إلى الله فى بدايتهم كما يدعون غيرهم فى نهايتهم، وهم فى أنفسهم فى بداية المجاهدة ﴿ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ﴾ المائدة ٥٤، وهم صفوة الله من عباده وخيرته من كل قرن.

أما الفرد القرآنى فالكبريت الأحمر اشتاق إليه وإلى أصحابه، رسول الله ﷺ وناهيك بهذا الفخر، وما مضى من قرن من القرون بعد الصحابة إلا وكل مستقيم يحن إليه ويتمنى رؤيته.

نور الوراثة لاح للأبصار	سر الفتوة لاح للأسرار
شهد الرجال حقائقاً لم تشهدن	إلا لأهل الكشف والأخبار
فاز الكرام بوسعة فى نعمة	من منعم معط ومن غفار
ما قد مضى قد عاد نوراً مشرقاً	من سادة الأفراد والأبرار
علم وحال حجة نبوية	راح طهور دار بالمدرار
قد أسكر الأرواح راح محمد	طه الحبيب المصطفى المختار

خصوصيات المرشد

المرشد يجب أن يكون أكمل رجل في عصره وأشبه برسول الله ﷺ، هذا ويجب علينا أن نبحث عنه بصفته وارثاً لرسول الله ﷺ، فإذا سمعنا به أو علمنا عنه أو رأيناه واتبعناه سعدنا في الدنيا والآخرة، ولننا مؤانسة الحق ومواجهته ومشاهدته، ولو التفتنا عنه بعد التحقق به فقد التفتنا عن رسول الله، والالتفات عن رسول الله كفر وهلاك في الدنيا والآخرة.

ووظيفة المرشد هي النيابة عن حضرة الرسول ﷺ لتحقيق كلام الله تعالى، بدليل قوله تعالى: ﴿فِيكُمْ رَسُولٌ اللَّهُ﴾ الحجرات ٧، فينا بورثته الذين قاموا مقامه لدعوة الخلق إلى الحق، وصفاته كما قال تعالى: ﴿كَمَا أَرْسَلْنَا فِيكُمْ رَسُولًا مِّنكُمْ يَتْلُوا عَلَيْكُمْ آيَاتِنَا وَيُزَكِّيكُمْ وَيُعَلِّمُكُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُعَلِّمُكُم مَّا لَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ﴾ البقرة ١٥١، هذه الصفات الخمسة هي ميراث رسول الله ﷺ القائم بها وارثه لحفظ القرآن، وإقامة الحجة وبيان المحجة، وبيان أمراض النفوس وتزكيتها.

والإنسان بفعله وعقله لا يُدرك محاب الله ومراضيه بنفسه، ولو علم الله أن العقول تدرك ما يحبه الله لما أرسل رسولا، فإذا وجب البحث عن من ظهرت فيه وراثة رسول الله ﷺ لوجب الاتباع له.

ومرشد يدعى الإرشاد ولم يتخلق بالرحمة والغيرة لدينه وفرق المسلمين شيعاً ليس بمرشد ولكنه شيطان، ومرشد يدعى الإرشاد ليجمع المال أو العوائد والعصبة ليس بمرشد، ومرشد يفرق المجتمع ويبغض مسلماً ليس بمرشد ولكنه من دعاة إبليس.

وليس هناك خليفة إلا من كَمَلَ إيمانه وَكَمَلَتْ أخلاقه، ولا تخلو الأرض من ذلك المرشد الكامل، أبقاه الله لنا ورزقنا حسن اتباعه ومنحنا صحبته في الدنيا والآخرة... آمين، والحمد لله رب العالمين.

السعي إلى المرشد أفضل من السعي على المعاش

ليس للجاهل عذر، بل الواجب عليه أن يسعي وراء العارفين بالله، ليعرف كيف يعبد ربه

وإلا ضيع عمره في هُو ولعب، ويوم القيامة أول ما يسئل العبد هل تعلمت أم لا؟! فإن لم يكن تعلم أمر به إلى النار، فلا عذر لجاهل أبداً إنما تقصيره في ذلك عليه خسران وهلاك.

فأسع إلى المرشد أكثر من سعيك على قوت يومك الضروري، أنت إذا مت من الجوع لا تدخل جهنم، ولكن إذا ماتت روحك بالجهل خلدت في جهنم، ولو كنت تملك ملك الدنيا بأجمعها فلا ينفعك بل يزيدك طغياناً وهلاكاً، قال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ الذاريات ٥٦، وقال تعالى: ﴿وَفِي السَّمَاءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ﴾ الذاريات ٢٢، وإني لحننت لكم لكيلا تعلموا، واللحن يعلمه أولو الألباب.

نتيجة اتباع المرشد

عين الرأس ترى الآثار، وعين العقول ترى الآيات بالفكر والاستحضار والتعليم، وعين الروح ترى جمال الله، ونفخة القدس ترى وجه الله منزهاً ومقدساً، قال تعالى: ﴿فَأَيْنَمَا تُولُونَ﴾ البقرة ١١٥، وهذا نتيجة اتباع المرشد، وكل عمل بغير علم يضل، وكل علم بغير عمل يضل ويضل غيره، وقد استعاذ الله على لسان أنبيائه بقوله: ﴿أَعُوذُ بِاللَّهِ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ﴾ البقرة ٦٧، وقد استوى الجاهل في هذه الآية بالاستعاذة من الشيطان الرجيم، ولا يعظم الله إلا العلماء، ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾ فاطر ٢٨، على الرفع والنصب في القراءة.

خذوا بالتلقى سر حالي ونشوتي
فلي ظاهر بالشرع أشرق نوره
فلم يقهرن سري رموز شريعتي
فما شئت أن ترى إماماً مكماً
وما شئت أن ترى الزجاجة أشرقت
إمام بسر الشرع بحر مطمئناً
من مبدئي والشرع حصن يحوطني
وأوجه إخواني مفاتيح للهدى

فعدني تتلقى علوم الحقيقة
ولي باطن تجلي به شمس وحدتي
ولم يحجبني جسمي جمال هويتي
بمحاربه تراه في كل حيطة
بزيت التجلي من مجالي النزاهة
ونور بسر الغيب عالي الإشارة
ونور التجلي مشرق لسيرتي
فتفتح روض الشرع أو روض قربتي

فمن شاء أن يشرب من الماء طاهراً
 تلقوا معالم الطريق فإنها
 لظاهركم حلل هي الوصل إخوتى
 فلو أن عجمياً صغى لعبارتى
 ولو أن محبوباً صغى لإشارتى
 فعنى خذوا بالقلب ترقوا وترفعوا
 وإنى أخشى أن أشير إلى الصفا
 ومن شاء أن يشرب مدام محبتى
 هى النور للسارى بصدق عزيمة
 وللروح أنوار المجالى العلية
 تجمل بالحكم التى فى الشريعة
 يصير هو المشكاة نور الهداية
 لأعلى مقام القرب روض المعية
 فيسمع سرى غير أهل مودتى

حقيقة القرابة

لما كان رسول الله ﷺ لم يكن له ولد، جعل كل مؤمن من أولاده وهو أبوهم، وفى قراءة:
 ﴿النَّبِيُّ أَوْلَىٰ بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ وَأَزْوَاجُهُ أُمَّهَاتُهُمْ﴾ الأحزاب ٦، وهو أبوهم، وقد يجب العبد
 الزنجى التقى أكثر من ولده من أولاد الحسين الذى لم يستقم، قال تعالى: ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ
 عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ﴾ الحجرات ١٣، وقال تعالى: ﴿فَلَا أَنسَابَ بَيْنَهُمْ﴾ المؤمن ١٠١، وقد تشفع رسول الله
 سيدنا نوح ﷺ بقوله: ﴿إِنَّ ابْنِي مِنْ أَهْلِي﴾ هود ٥٥، فأدبه الله بقوله: ﴿إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ إِنَّهُ عَمَلٌ
 غَيْرُ صَالِحٍ﴾ هود ٤٦، والمعنى يا نوح ليست البنوة هى القرابة الجسمانية، وإنما البنوة هى القرابة
 الروحانية باتباع دينك.

حال الفرد خاص به

﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَدِّ لَهُم بِالتَّى هِيَ أَحْسَنُ﴾ النحل ١٢٥.

إن أسرار الحق وأنوار اليقين وعلوم المعرفة والإحسان، غيب عن أبصار حجت ببهجة
 الحظ، وعميت بزينة الحياة الدنيا، وهيت بضروريات المعيشة، وغفلت بمزاحمات الآمال،
 ووقفت عند ما يلائمها من الحسن الحسى والجمال الكونى، فلم تستطع قواها أن تنفذ من
 مادة الكائنات إلى فسيح أفق العيان لعدم البيان، وأهل المكاشفات ممن زكت نفوسهم
 وتطهرت أخلاقهم، وذاقوا راح اليقين بعد التمكين الأولى لهم أن يجعلوا مقامات الخشية

والرهبة والمراقبة والمحاسبة خاصة بهم لعدم المزاحم، وسطوع أنوار اليقين على قلوبهم، والأحرى بهم أن يتنزلوا عن مقاماتهم العلية ويتشبهوا بالعامية في حالتهم، حتى يداووا أمراضهم بالدواء النافع الشافي الذي ركبه رسول الله ﷺ وأمر الله تعالى به، فيبدأ أولاً بتطهير العقيدة من شك وشرك خفى، حتى إذا تحقق من حسن عقيدة الطالب أذاقه حلاوة الإيمان وثمره اليقين، ثم جمل له الأخلاق وكشف له نتائجها، وبمن يتشبه بجميل الأخلاق، وبمن يتصل في العوالم، ومن يحب من المقربين، ثم كشف له أسرار العبادات، ومزايا القربات، وفوائد الطاعات، ولديها يطالبه بترك الشبهات، ثم بالورع عن المباحات بحسن خلق وجميل عمل، حتى يكون درسه العملي أولى من الدرس العلمي، فيكتسب الطالب بعمله صبغة علمية يكتسبها بالتقليد والفطرة والرغبة، من حسن الخلق وجمال المعاملة، والحرص على تأليفه وتجيبه إلى الخير، والمحافظة عليه من النفور أو الحل أو الكراهة لعمل الخير، حتى إذا لانت شوكة حظه واعتاد على الخير تعهده بالبشائر والقبول وعظيم الأجر، حتى يذوق خمر اليقين، ويشاركك في وظيفتك من الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ولديها بعد أن تستأنس منه، وتتحقق في حسن بدايته وشروق أنوار نهايته، اجعله معك في أحوالك، ليتلقى ذلك بعيون منيرة بالإيمان وقلب مستضيء باليقين، فيذوق شراب التوحيد الخالص بذوق طاهر وقلب سليم، ولكن إذا قهره ما يعلوه حال القرب ينسى بشريته وما كان عليه، ويعامل الناس بمقامه، فمن شاركه شرح له مقامه، وبين له أسرارها، غير مبال مما يؤول إليه حال الطالب، فينتج عن ذلك ما لا يحمد، والحمد لله على توفيقه.



الفهرس

٥ مقدمة الكتاب

الفصل الأول

٦ من غوامض أسرار العلوم الإلهية

٦ فيض من البحر النوراني

٩ رحيق من الكبالات الإلهية

٩ مراتب التوحيد

١٠ الأسماء والصفات

١٠ أسماء الله الحسنى

١١ أسماء الله الحسنى بالتفصيل

١٢ دلائل معانى الصفات فى الكائنات

١٣ ظلمة الكثرة ونور الوحدة

١٥ ظهور الأوصاف الجمالية

١٥ رؤية الله تعالى

١٦ عندية الوجود وعندية الوجد

١٧ الأمانة هى معانى الصفات

١٩ الإمام الناطق وإن صمت

١٩ التلاوة والقراءة والترتيل

٢٠ أنواع الكتاب العزيز

٢١ تفصيل أسماء القرآن

٢٢ سر القراءة

٢٢ بيان رموز القرآن في أوائل السور

٢٣ التغنى بالقرآن

الفصل الثاني

٢٥ نطق الآثار بما فيها من درر الأسرار

٢٥ السائحون

٢٦ مراتب المظاهر الربانية والتجليات الإلهية

٢٧ الظاهر

٢٨ الظاهر والظهور

٢٨ الظهور والمظهر

٢٩ مقامات العارفين

٣٠ الإنسان صورة الرحمن

٣٠ سر النور المجعول

٣٢ القلوب والأرواح

٣٢ نور القلب

٣٣ عمارة القلوب وعمارة الجيوب

٣٣ صفاء القلب

٣٤ غذاء الروح

الفصل الثالث

٣٦ شروق عجائب القدرة وغرائب الحكمة

٣٦ حقيقة السمع والبصر

٣٦ الأسباب معارج ومدارج

٣٧ الواردات الروحانية

٣٨ طهارة الباطن

الفصل الرابع

٤٠ معارج أهل القرب

٤٠ التفكير

٤١ التذكر

٤٢ الوسعة الإلهية

٤٢ الإصلاح قبل الصلاح

٤٤ الاستقامة

٤٧ المناجاة

٤٨ كمالات المسلم

الفصل الخامس

٥١ درر الإشارات في رموز العارفين

٥١ شهود الجمال وظهور الغيب

٥٢ الغيب والشهود

٥٣ الحجب والشهود

٥٣ الشهود والوجود

٥٤ الراح والشراب ونفخة القدس

٥٥ التوجه والمواجهة

٥٥ المواجهة والمقابلة

٥٥ المجاهدة والمواجهة

٥٦ السماع والمواجهة

٥٧ القصد واليقين

٥٨	الإفراد والتفريد
٥٩	الوجد والمعرفة
٦٠	الحضور والأنس
٦٠	حب الله
٦٠	درجات المحبة
٦١	معانى المحبة
٦٣	الجواذب
٦٥	الجواذب ثلاث
٦٥	المجذوب الوارث والمجذوب المقتطع
٦٥	الإقبال والقبول
٦٦	معارج القبول
٦٦	الفناء والبقاء
٦٨	فناء الصادقين وفناء الكاذبين
٦٩	الوجد والوجود لا التواجد والتقليد
٧٢	الصفاء والإصطفاء
٧٢	الغيبة والحضور
٧٣	الغيبة والصحو
٧٣	الجمع والفرق
٧٥	التنزيه والتشبيه
٧٥	الخلق والجعل
٧٥	السكينة
٧٧	الحال الظاهر

٧٨ الحال القاهر

الفصل السادس

٧٩ الإمامة نيابة عن الرسالة

٧٩ الحقيقة المحمدية

٨٠ العبد

٨٠ الورثة أربعة

٨٢ خصوصيات المرشد

٨٢ السعى إلى المرشد أفضل من السعى على المعاش

٨٣ نتيجة اتباع المرشد

٨٤ حقيقة القرابة

٨٤ حال الفرد خاص به

٨٦ الفهرس

